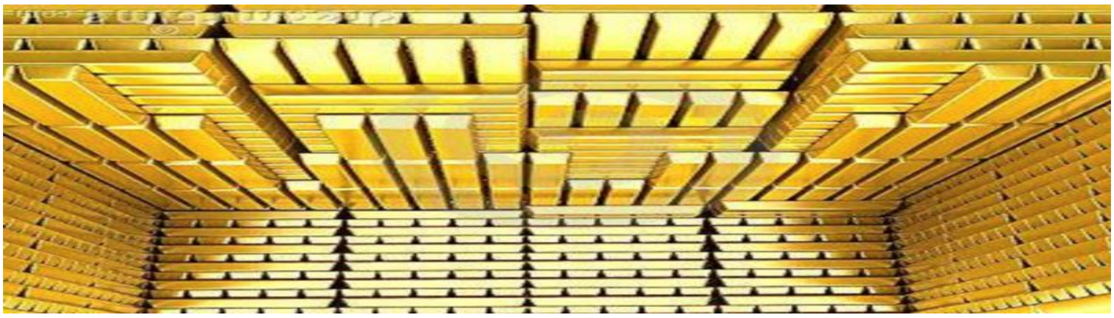
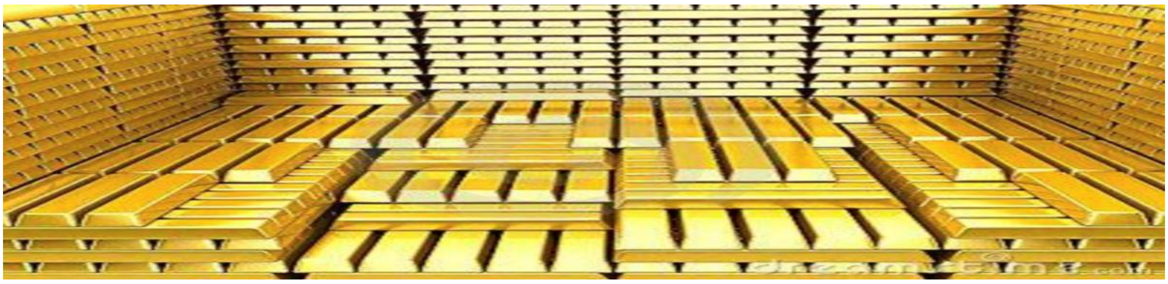
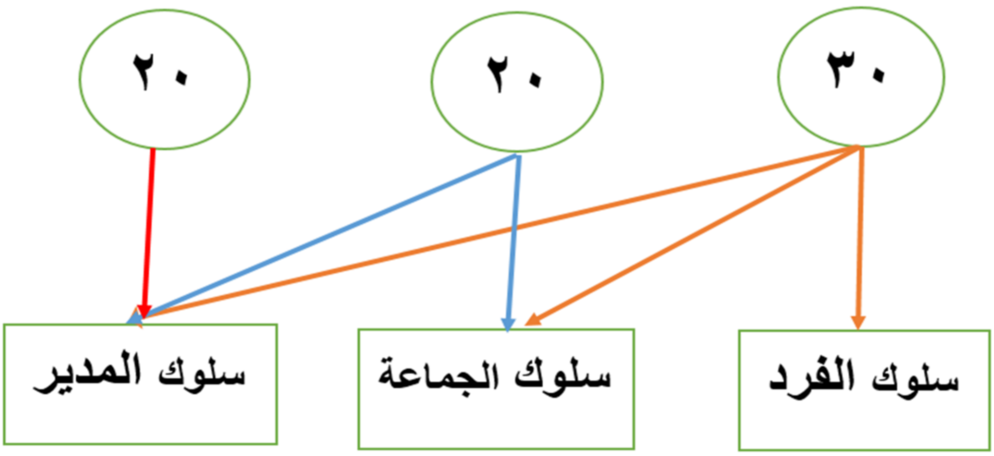


الإطار الذهبي للسلوك الأخلاقي

(٧٠) قاعدة للسلوك التنظيمي والأسري





دكتور نبيل عزت أحمد موسى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛

إن الإنسان في حاجة إلى الأخلاق التي توائم بين غرائزه وتهذب طبيعته، وتوجهه إلى السلوك اللائق به في الحياة كأفضل مخلوق اختصه الله تعالى بالخلافة في الأرض. فحاجة الإنسان للأخلاق أكبر من حاجته إلى العلوم الأخرى؛ فلا توجد أمة سعيدة مترابطة بدون الأخلاق مهما بلغت من التقدم العلمي. ويشهد التاريخ أنه كلما ارتقت أخلاق الأمم، وارتفعت منظوماتها القيمية، كلما ازدادت قوة ومنعة ورفعة، وكلما انحطت هذه القيم والمبادئ كلما انحدرت الأمم وتراجعت.

ولعنا ندرك بفطرتنا أنه كلما اقترب الإنسان من الأخلاق الحسنة وامتثل لها كلما ازداد جمالًا؛ جمالًا في روحه وفي تعامله وفي تفكيره. فالجمال جمالان؛ جمال حسي، يتمثل في الشَّكل والهيئة والزينة والمركَب والجاه والمنصب، وجمال معنوي: يتمثل في الخُلق، والخُلق أفضلُ الجمالينِ. ولا يكفي أن يكون الإنسان صاحب خلق عظيم ورفيع وحسن، ولكن يجب أن يثبُت الإنسان على هذا الخلق ولا يتراجع عنه مهما تغيرت الظروف والأحوال. فالأخلاق ليست لونًا من الترف يمكن للإنسان الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، كما أنها ليست ثوبًا يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء، إنما هي ثوابت لا تتغير بتغير الزمان أو المكان؛ لأنها الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

ويختص هذا الكتاب بالأخلاق العملية التي تتطلبها التنظيمات الاجتماعية بصفة عامة؛ والإدارية بصفة خاصة. والأخلاق جمع خلق؛ والخُلق هو ما يصدر عن النفس من سلوك بسهولةٍ ويُسرٍ، من غير حاجة إلى فكرٍ ولا رويَّة؛ وهذا السلوك إما أن يكون محموداً أو يكون مذموماً؛ فإن كان الأول، كان الخُلُق حسَنًا، وإن كان الثاني، كان الخُلُق سيِّئًا.

والخلق الحسن هو تلك المنظومة من القيم والعادات التي ترتقي بالإنسان وفكره وتعامله. وهو الذي يجعل صاحبه من خيار الناس وأفضلهم شأنًا وأعلاهم مكانةً وقدرًا. والخلق السيئ هو كل فعل أو تصرف أو عادة مخالفة ومناقضة للخلق الحسن الذي تقبله الفطرة وينادي به الدين، ويدعو إليه الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وهناك فَرْقٌ بين الخُلُق والتخلُّق؛ إذ التخلُّق هو التكلُّف والتصنُّع، وهو لا يدوم طويلاً، بل يرجع إلى الأصل، والسلوك المتكلَّف لا يسمَّى خُلقًا حتى يصير عادةً وحالةً للنفس راسخةً، يصدُرُ عن صاحبِه في يُسر وسهولة؛ فالذي يصدُقُ مرة لا يوصَفُ بأن خُلقَه الصدقُ، ومن يكذِبُ مرَّةً لا يقال: إن خُلقَه الكذب، بل العبرةُ بالاستمرار في الفعل، حتى يصيرَ طابعًا عامًّا في سلوكه.

وحينما نبحث عن ضوابط أخلاقية عملية للسلوك الإنساني، فلا نجد مرجعية تعلو على البناء الأخلاقي الشامخ الذي أقامه الإسلام؛ فقد أحصى الإسلام القيم الخلقية الإنسانية فكان إجمالاً لما سبقه، وإكمالاً للجوانب الناقصة، فأقام بذلك البناء الأخلاقي للإنسانية لتستظل به في كل زمان وفي كل مكان؛ وأتم إلى الأبد العمل الأخلاقي؛ حيث قال رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم: (إنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صالِحَ الأَخْلاقِ) (صحيح الجامع).

والقواعد العملية للسلوك الأخلاقي الواردة في هذا الكتاب مستخلصة من الأخلاق الإسلامية؛ وتكوّن هذه القواعد إطاراً يُميّز بين الخلق الحسن فيأمر به، والخلق السيئ فينهى عنه؛ لذلك وصفناه بالإطار الذهبي؛ ليكون مرجعية تفصيلية للقواعد الأخلاقية اللازمة لتوجيه السلوك في التنظيمات الإدارية (منظمات الأعمال والمنظمات الاجتماعية)، وفي الأسرة المسلمة. ويهدف هذا الإطار إلى الآتي:

- توفير دليل إرشادي لقواعد السلوك الأخلاقي اللازمة للعمل في كافة التنظيمات الإدارية.
- إرساء المعايير الأخلاقية والمبادئ الأساسية للعمل في التنظيمات الإدارية، وترسيخ أسس الممارسات المتميزة؛ من خلال توعية منسوبي هذه التنظيمات وتوجيههم نحو أخلاقيات العمل السليمة وأطر الانضباط الذاتي التي تحكم سير عملهم.
- تعزيز ثقة المتعاملين مع التنظيمات الإدارية، وزيادة الاحترام والتقدير لدور هذه التنظيمات في توفير الخدمات بأعلى درجات المصداقية والاعتمادية والشفافية.
- تحديد المعايير العليا التي تستطيع التنظيمات الإدارية من خلالها تقويم أداء منسوبيها.
- إعلام المعنيين المباشرين بعمل التنظيمات الإدارية بمستوى ونوعية العمل وجودة الخدمة التي يتوقعون تلقيها.

- ومن جانب آخر؛ يمكن اعتبار هذا الإطار الذهبي مرجعا عاماً للمعايير الأخلاقية اللازمة لتوجيه السلوك في الأسرة المسلمة.

يتكون السلوك في التنظيمات الإدارية من سلوك الإنسان الفرد، والسلوك الإنساني الجماعي. فقد يكون للإنسان عمل يؤديه بمفرده داخل التنظيم، وقد يؤدي عمله باعتباره عضواً في جماعة، فيكون سلوك هذه الجماعات عبارة عن محصلة السلوك الجماعي لأعضائها. وقد يكون الفرد مديراً لهذه الجماعة، فيكون لسلوكه أثر على سلوكها. فسلوك أي تنظيم إداري عبارة عن محصلة لكل من:

- السلوك الإنساني للفرد.
- السلوك الجماعي لمجموعات العمل؛ التي تأخذ أشكالاً تنظيمية متعددة، مثل فرق العمل واللجان والأقسام الإدارية.
- السلوك الإنساني للمدير.

ولذلك تم تقسيم الإطار الذهبي للسلوك الأخلاقي إلى ثلاثة أقسام رئيسة: (للفرد، وللجماعة، وللمدير)؛ حيث صُنّفت القواعد في سبع مجموعات؛ يعلوها قواعد السلوك مع الله سبحانه، ثم مجموعتان لكل من الفرد والجماعة والمدير؛ إحداهما للقواعد الآمرة للسلوك الأخلاقي الحسن والأخرى للقواعد الناهية عن السلوك الأخلاقي السيئ. وتضمنت كل مجموعة عشرة قواعد سلوكية.

وينسحب هذا التصنيف على سلوك الأسرة المسلمة، حيث السلوك الفردي في الأسرة، والسلوك الجماعي للأسرة، وسلوك رب الأسرة.

ويوضح الشكل في الصفحة التالية العلاقة بين مجموعات قواعد السلوك الأخلاقي وبين سلوك العاملين في التنظيمات الإدارية، حيث يكون السلوك الصادر عنهم إما فردياً، أو جماعياً، أو سلوكاً يختص به المدير؛ ونجد الآتي:

- سلوك الفرد: يرتبط به ثلاث مجموعات لقواعد السلوك.
- سلوك الجماعة: وتتكون الجماعة من الأفراد؛ فيلزم لكل منهم توافر المجموعات الثلاث الخاصة بسلوك الفرد، ويُضاف إليها مجموعتان يتطلبهما سلوك الجماعة.
- سلوك المدير: حيث أن المدير فرد يدير جماعة من البشر؛ فيحتاج إلى المجموعات الثلاث اللازمة لسلوك الفرد، والمجموعتين اللازمتين لسلوك الجماعة، يُضاف إليها مجموعتان لسلوك المدير.

ويركز الشرح الموجز لكل قاعدة من القواعد السبعين على ثلاثة أمور:

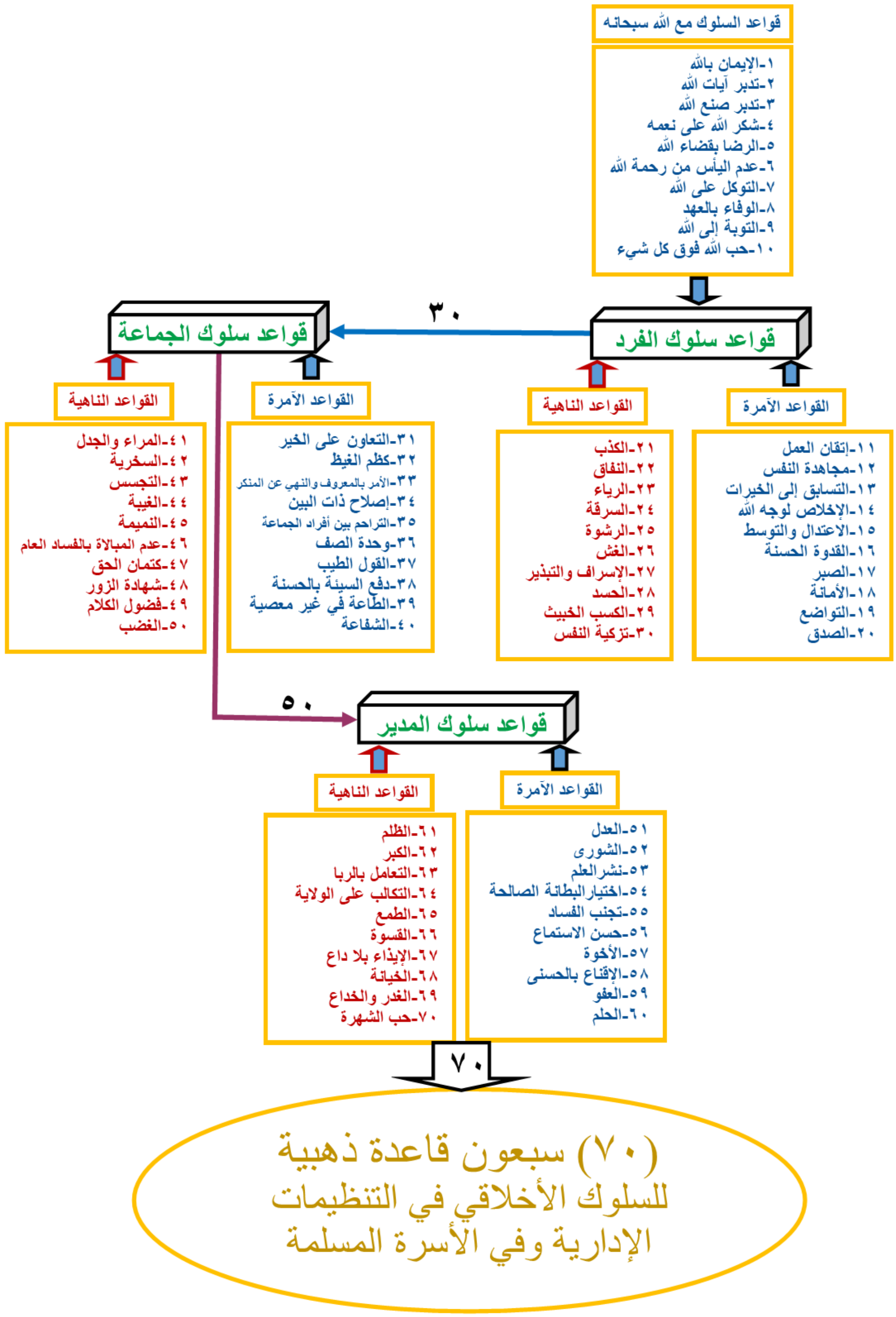
- المفهوم العام للقاعدة.
- الدليل الشرعي لوجوب القاعدة أو النهي عنها؛ حيث يتم عرض نماذج من الأدلة وليس حصراً لها.
- ثمار القاعدة الآمرة، أو آثار القاعدة الناهية.

أسأل الله عز وجل أن ينفع به؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

دكتور نبيل عزت أحمد موسى

القاهرة في غرة رمضان١٤٤١هـ الموافق ٢٤ أبريل ٢٠٢٠م

الإطار الذهبي للسلوك الأخلاقي



أولا: القواعد الأخلاقية لسلوك الفرد

تتكون القواعد الأخلاقية لسلوك الفرد من ثلاث مجموعات، وتتكون كل مجموعة من عشرة قواعد سلوكية. والمجموعات الثلاث هي:

المجموعة الأولى: قواعد السلوك مع الله سبحانه.

المجموعة الثانية: القواعد الآمرة لسلوك الفرد.

المجموعة الثالثة: القواعد الناهية عن سلوك الفرد.

المجموعة الأولى: قواعد السلوك مع الله سبحانه

يجب أن يكون سلوك الفرد مع ربه بمقتضى إقرار الإنسان بربوبية الله سبحانه: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف:١٧٢). فمقتضى الربوبية يحدد واجبات الإنسان نحو خالقه؛ وأخلاق الإنسان رهن بالقيام بهذه الواجبات، فلا أخلاق بلا إيمان.

وتتكون المجموعة من عشرة قواعد، نبيّن في كل منها ثلاثة أمور: مفهوم القاعدة، وأدلة وجوبها، وثمارها. والقواعد العشرة هي:

١-الإيمان بالله
٢-تدبر آيات الله
٣-تدبر صنع الله
٤-شكر الله على نعمه
٥-الرضا بقضاء الله
٦-عدم اليأس من رحمة الله
٧-التوكل على الله
٨-الوفاء بالعهد
٩-التوبة إلى الله
١٠-حب الله فوق كل شيء

١-الإيمان بالله

الإيمان بالله أول قواعد السلوك مع الله سبحانه؛ ونتناول فيما يأتي بيان مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الإيمان:

الله سبحانه وتعالى غيب عن حواس البشر، تدرك وجوده الفطرة السوية، وتدرك حواس الإنسان آثار وجود الله في النفس وفي الكون؛ تلك الآثار التي لا تحصى ولا تعد.

ويكون الإيمان بالله تعالى بالاعتقاد والعمل. اعتقاد القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. ومن ثمّ اتباع هذا الاعتقاد بالعمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى وفقا للمنهج الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والإيمان يزيد وينقص؛ ومما يدل على ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُــورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة:١٢٤). وقوله سبحانه: (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّـذِينَ كَفَرُوا لِيَسْـــتَيْقِنَ الَّـذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ وَيَزْدَادَ الَّـذِينَ آمَنُوا إِيمَـانًـا) (المدثر:٣١). ويزيد إيمان المســلم بمعرفة الله تعالى بأســمائه وصــفاته، والنظر في آيات الله الكونية والشــرعية، وبكثرة الطاعات. وينقص الإيمان بالجهل بأســماء الله وصــفاته، والإعراض عن التفكر في آيات الله، وبفعل المعصية وترك الطاعة.

والإيمان بالله سبحانه وتعالى له شعب كثيرة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم: (الإِيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ.) (صحيح مسلم).

وللإيمان بالله عزّ وجلّ عرىً كثيرة، وإنّ أوثقها الحبّ والبغض في الله، والموالاة والمعاداة في الله، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ:" كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النبي -صلّى الله عليه وسلّم -فَقَالَ: (أَيُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ؟ قَالُوا الصَّلاَةُ. قَالَ: حَسَنَةٌ وَمَا هي بِهَا. قَالُوا: الزَّكَاةُ. قَالَ: حَسَنَةٌ وَمَا هي بها. قالوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ. قَالُوا: الْحَجُّ. قَالَ: حَسَنٌ وَمَا هُوَ به. قالوا: الْجِهَادُ. قَالَ: حَسَنٌ وَمَا هُوَ به. قال: إِنَّ أَوثق عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ في اللَّهِ، وَتُبْغِضَ في اللَّهِ). (صحيح الترغيب).

أدلة وجوب الإيمان بالله:

- (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٦).
- (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦).
- (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة: ٢٨٥).
- (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: ١١٠).
- (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١٦٢).
- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور: ٦٢).
- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال:٢-٥).
- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: ١٥).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّ) وقَالَ : (الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ

اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، وقال عن الإحسان: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (صحيح البخاري).

ثمار الإيمان بالله:

إن سلوك الإنسان وتصرفاتِه في حياته وممارساته اليومية؛ انعكاس لعقيدته الإيمانية؛ فإن صلَحت العقيدة الإيمانية صلَح السلوك واستقام، وإذا فسَدت فسد واعوجَّ، ومن ثَمَّ كانت عقيدة التوحيد والإيمان بالله ضرورةً، لا يستغني عنها الإنسان؛ ليستكمل شخصيته، ويحقق إنسانيته.

وإذا سيطرت عقيدة التوحيد على النفس الإنسانية، أثمرت الفضائل الإنسانية العليا، فتسمو النفس عن الماديات الوضيعة، وتتَّجه دائمًا نحو الخير والنبل، والنزاهة والشرف، ويتخلق صاحبُها بالصدق، والصبر، والحلم والأناة، والأمانة، والرفق والرحمة، والتواضع.

وغاية المسلم الأساسية في أخلاقه، أن يحقق مرضاة ربّه في الآخرة، قال تعالى :(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة: ٧، ٨).

كما أن المسلم يحقّق سعادته في الدنيا قبل الآخرة، يقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:٢٨). فالسرور ثمرة عملية لمن يتحلَّى بالأخلاق الفاضلة، والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير، وهذه من ثمرات الانسجام بين الإيمان والأخلاق، وذلك نتيجة طبيعية؛ لأن الإنسان عندما يتصرَّف بمقتضى عقيدته يشعرُ بأنه إنسان خيِّر قويُّ الإرادة، يتغلب على نوازعه الشريرة وشهواته، ويرتفع بنفسه إلى ما يُرضِي ربه، هذا في الدنيا، فهو في كل عمل يعمله؛ سواء كان هذا العمل مع نفسه، أو مع ربه، أو مع الناس يدرك أن الله معه، ويتذكر دائمًا أن الله مطّلع عليه، ويتذكر قول الله تعالى:(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)(ق:١٨)، وقوله سبحانه :(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء:٤٧).

إنَّ جمال السُّلوك دليل على صدق الإيمان وقوَّته، كما أنَّ قبح السلوك وانحراف الأخلاق دليلٌ على ضعف الإيمان أو انعدامه؛ فالعلاقة بين السلوك والإيمان علاقةٌ قويَّة ومتلازمة، لا يكمل إيمان المرء إلا بصلاح أخلاقه وحسن علاقته مع الآخَر، وقول المعروف وبذل الخير.

٢-تدبر آيات الله

القاعدة الثانية من قواعد السلوك مع الله هي تدبر آيات الله؛ ونبيّن فميا يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها وثمارها.

مفهوم تدبر آيات الله:

التدبر هو التأمل في آيات الله وفهم معانيها والعمل بها. فالقراءة التدبرية الواعية للقرآن الكريم، تتجاوز الحلقوم وتنفذ إلى القلب. والقرآن لا تنقضي عجائبُهُ، فلا يَقْتَصِرُ على ما وردَ في تفسيرِ الآية، بل يُعْمِلُ الفِكْرَ والنَّظَرَ ويَتَأَمَّلُ في الآياتِ وما تَدُلُّ عليه، وبهذا تُفْهَمُ الآيةُ على أوسع معانِيها التي تدل عليها، ولا تُقْصَرُ الآيةُ على معنىً واحدٍ من المعاني، فالآيةُ تُفهم على معانٍ كثيرةٍ لا تعارض بينها، فيُمْكِنُ أنْ تُحمَلَ الآيةُ على الكثيرِ من المعاني الحقيقية والمجازية التي تُفْهَمُ من الآية، ويَسمح بها التركيب، إذا لم يكن هناك تعارضٌ بين هذه المعاني.

ولا يقتصر تدبر الآيات على مجرد التفكر والتأمل، وإنما يتعين ممارسة التدبر عبر الالتفات إلى مآله وعاقبته، إذ لا يتعلق الأمر مع القرآن، بمجرد التفكر والتأمل، بل إنهما يعتبران وسيلة إلى غاية كبرى، وهي التذكر، وإدراك عظمة الله، وليس مجرد الترف العلمي والمعرفي.

ومن وسائل تدبر آيات الله:

- المداومة على التلاوة مع التزام آدابها من طهارة وحضور القلب وإعمال الفكر للوصول إلى أسرار القرآن ومقاصده.
- عدم الإصرار على المعاصي والذنوب لأنها سبب لاستثقال كلام الله والنفور منه.
- اختيار أوقات صفاء الذهن والقلب من شواغل الدنيا كجوف الليل وعند الفجر.
- استشعار القارئ أنه هو المخاطب بأوامر القرآن الكريم ونواهيه للعمل به.
- تكرار الآية والتجاوب معها لما في ذلك من تقرير للمعاني في النفس وطمأنة للقلب.
- القراءةُ بتأنٍ وهدوء، والتفاعلُ مع الآيات بحضور القلب، وإلقاء السمع، وإمعان النظر، وإعمال العقل. فلا يكون هَمُّهُ الإكثارَ من القراءة بدون تأمُّلٍ وفَهْمٍ لما يقرؤه.

- التأمُّلُ في سِياقِ الآيةِ، والسياقُ يتكونُ مِنَ السِّبَاقِ واللحاقِ، فالسِّباقُ هو ما قبل الآية، واللحاق هو ما بعد الآية.
- أنْ يربطَ الإنسانُ بين آياتِ القرآنِ والواقعِ الذي يعيشُهُ، ويجعلَ من الآيات منطلقاً لإصلاح حياتِه وواقعِه، وميزاناً لمن حوله وما يحيط به، وذلك من غير تكلُّفٍ في إنزال الآيات على الواقع.

أدلة وجوب تدبر آيات الله:

- (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤).
- (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩).
- (وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف: ٢٠٤).
- (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) (المؤمنون:٦٨)
- (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء:٨٢).

ثمار تدبر آيات الله:

- التدبر تكريم للإنسان، وحمل له على الشعور بهذا التكريم :فلم يكن القرآن دعوة يستقيل معها عقل الإنسان وتفكيره، وإنما دعا القرآن هذا العقل، وكُررت الدعوة، بصيغ الترغيب والترهيب، إلى التدبر في كتاب الله طريقا وحيدا إلى الاقتناع والاستجابة، يشترك في ذلك مختلف طوائف المجتمع الإنساني. إذا كان الفكر الغربي يكرم الحرية الفكرية للإنسان باعتبارها غاية يتعين بلوغها، والحفاظ عليها بقوة القانون، فإن القرآن الكريم جعل ذلك التكريم منطلقا لا غاية، وشتان بين تكريم يبقى غاية، وبين تكريم يتأسس منذ لحظة الانطلاق.
- إن من يمارس خلق التدبر في القرآن يقيم الحجة على نفسه، ويتجه إلى معرفة الحق في القرآن، والاهتداء به إذا خلصت نيته، وصفا قلبه، وذلك أن ما جاء في القرآن لا يملك من تدبره أن يظل معرضا عنه، ففيه من الجمال، وفيه من الكمال، وفيه من التناسق، وفيه من الجاذبية،

وفيه من موافقة الفطرة، وفيه من الإيحاءات الوجدانية، وفيه من عظمة الاتجاه، وفيه من قويم المناهج، وفيه من محكم التشريع... وفيه من كل شيء ما يستجيش كل عناصر الفطرة ويغذيها، ويلبيها.

- التدبر زاجر عن المعاصي: من اختار طريق التدبر، لا يلبث أن تظهر على مشاعره أمارات التقدير والاعتبار لما هو منخرط فيه، ولابد أن ينشأ عن معاودته وارتياده لآفاق التدبر؛ زاجر معنوي يمنعه من الارتكاس في المعاصي، معاص الفكر والسلوك.
- يمكن أن نصف المسلم بأنه «رسول» إلى نفسه، وإلى من حوله من الناس، وهؤلاء المسلمون يشكلون الأمة، «حاملة الرسالة الإسلامية» إلى البشرية جمعاء، ولن يتحقق هذا البعد في وجدان المسلم المعاصر إلا بالتدبر في كتاب الله، وتجاوز القراءة الوردية إلى النظر الطويل في الآيات، والتفكر في بعض مراميها. إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، فإنه خطاب إليك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.
- لم يهدف القرآن، في عرضه للنماذج البشرية في قصص الأقوام والأمم السابقة، إلى التسلية أو السرد الحر، وإنما رسم تلك النماذج من أجل العظة والاعتبار. ومن أجل أن يتجنب المسلمون الوقوع في شرك الأسباب التي تسوق إلى أخطاء تلك الأمم.

٣-تدبر صنع الله

القاعدة الثالثة من قواعد السلوك مع الله سبحانه هي تدبر صنع الله؛ ونتناول فيما يأتي بيان مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم تدبر صنع الله:

تدبر صنع الله هو إعمال العقل وإطلاقه في التأمل بآيات الله في الكون وفي الأنفس، والملاحظة لدقّة وجمال وعظمة سنن الله -عزّ وجلّ-في صنعه.

ومجالات تدبر صنع الله كثيرة؛ نذكر منها أمثلة يسيرة:

- التأمل بالكون وما فيه من إبداعٍ وإتقانٍ وجمالٍ؛ كالتأمل في خلق الجبال والأشجار، والتفكّر بجريان الأنهار، وتقلّب الليل والنهار وما يصاحب ذلك من تغيّر في أحوال الأرض، حيث يعلم الإنسان بذلك كيف أنّ كلّ ما في الكون يسير وفق نظام دقيق لا يتبدّل ولا يتخلّف.
- التأمل في خلق الله للإنسان، وما فيه من آيات، حيث أن الله – سبحانه- خلق الإنسان بأحسن صورةٍ، فتتكامل أعضاؤه في انسجام تام؛ وتؤدّي وظائفها بدرجةٍ عاليةٍ من الدقة والإتقان.
- التأمل في طبائع البشر، كيف أنّ الله -عزّ وجلّ-جبلهم على أمورٍ عديدةٍ منها: حبّ المال والشهرة والرئاسة وحب الخلود والحرص على التملّك وعمارة الأرض.
- التأمل في الكائنات الحيّة بأشكالها وأنواعها وأساليب حياتها حيث أنّ الله -تعالى-هيأ لها الأحوال والظروف المناسبة لتعيش حياتها الخاصة.
- التفكّر في الدنيا وسرعة فنائها، وما فيها من أكدار وصعوبات ومشاق وابتلاءات، فمن افتُتن بها وجرى خلفها لم يجد فيها إلّا الخسران والمهانة.
- التفكّر فيما أخبر الله -تعالى-من قصص الأمم السابقة، كيف أنّهم اغترّوا بأنفسهم واستكبروا عن عبادة الله عزّ وجلّ، فأهلكهم الله وأبادهم، ولم يُبق منهم إلّا آثارهم حتى يعتبر الناس بها .

أدلة وجوب تدبر صنع الله:

- (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢٠-٢١).

- (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: ١٦٤).
- (أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُون) (الأعراف:١٨٥).
- (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ) (الشورى: ٢٩)
- (أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) (الغاشية: ١٧-٢٠).
- (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرضِ وَمَا تُغنِى الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَومٍ لاَّ يُؤمِنُونَ) (يونس: ١٠١).
- (وَأَنزَلنَا مِنَ المُعصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا لِّنُخرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلفَافًا) (النبأ: ١٤-١٦).
- (وَالأَرضَ بَعدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخرَجَ مِنهَا مَاءهَا وَمَرعَاهَا وَالجِبَالَ أَرسَاهَا مَتَاعًا لَّكُم وَلأَنعَامِكُم) (النازعات: ٣٠-٣٣).
- (فَليَنظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبنَا المَاء صَبًّا ثُمَّ شَقَقنَا الأَرضَ شَقًّا فَأَنبَتنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضبًا وَزَيتُونًا وَنَخلاً وَحَدَائِقَ غُلبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُم وَلأَنعَامِكُم) (عبس: ٢٤-٣٢).
- (أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ، أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ، أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (الواقعة: ٦٣-٧٤).
- (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل: ٨٨).

ثمار تدبر صنع الله:

تدبر صنع الله يُعَرِّفُ الإنسان بربه، وعظيمِ سلطانه وقدرته، وعظيمِ تفضُّله على خلقه؛ فيزداد علما وعملا وبصيرة. ويصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا.

وقد ظهر في عصرنا أبحاث ودراسات للبحث في أمور كونية عرفت بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ وتهدف إلى الإخبار عن حقائقَ علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم نزول القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يكتشف العلمُ هذه الحقائق إلا في وقتنا الحاضر.

فقد تعرَّض القرآن الكريم في أكثر من سبعمائة آية إلى مسائل هي من صميم العلم، وذكر جانبًا من الحقائق العلمية، كقضايا عامة، ودخل في تفاصيلِ بعض الحقائق الأخرى، وتلك الآيات هي في مجموعها إحدى نواحي إعجاز القرآن التي ظهرت في هذا العصر الذي يؤمن فيه الأفراد والجماعات بالعلم، وتقاس فيه الشعوب بما أحرزته من علوم واختراعات.

مِن المعلوم أن القرآن ليس كتابَ طبٍّ أو هندسة أو زراعة أو نحو ذلك من العلوم التجريبية، إلا أنه قد حوى قبسًا من هذه العلوم؛ ليكونَ دليلًا على أن القرآن كلام الله تعالى، المنزل على عبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وعلَّمه، وأنزل القرآن الكريم على عبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأخبر سبحانه أنه سيكشف للناس عامة وللعلماء خاصة حقيقةَ ما في هذا القرآن من آيات بينات لتكون دليلًا على صدق رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فقال سبحانه :(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: ٥٣).

إن الآياتِ التي سيريها الله لعباده لا تقتصر على فترة زمنية واحدة، ولا على جِيل واحد من الأجيال، بل إنها تشمل جميع الأزمان وجميع الأجيال، في دلالة واضحة على أن القرآن الكريم حقٌّ من عند الله تعالى.

٤-شكر الله على نعمه

القاعدة الرابعة من قواعد السلوك مع الله هي شكر الله على نعمه، وفيما يأتي بيان مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم شكر الله على نعمه:

شـــكر الله على نعمه هو الثناء على الله بما هو أهله؛ ويكون الشـــكر بالنية والقول والفعل على نعمه التي أنعم بها على العبد في كل أحواله. فنعم الله عز وجل لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ) (إبراهيم:٣٤). ومن أعظم النِّعَم وأجلِّها:

- نعمة الإسلام: قال الله تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣).
- نعمة الصحة: لكي تعرف قَدْر هذه النعمة، انظُر إلى أحوال الناس الذين فقدوا هذه النعمة، فمن الناس: من هو أعمى، وهذا أعرج، وهذا أصمُّ، وهذا أبْكَم، وهذا مُعاقٌ عن الحركة، وهذا عنده غسيل للكُلى، وهذا ضِيق في التنفُّس، والآخر عنده مرض ... إلخ. عافانا الله وإيَّاكم، وشفى جميع مرضى المسلمين.
- نعمة العقل: ميَّزَ الله عز وجل الإنسان من بين سائر المخلوقات بهذا العقل؛ قال الله تعالى :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠).
- نعمة الأمن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم آمنًا في سِرْبه، مُعافًى في جسده، عندهُ قُوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدُّنيا بحذافير) (سنن الترمذي).
- نعمة المأكل والمشرب والملبس: ولنتأمل في حال كثير من أبناء المسلمين الذين يفترشون الأرض، ويلتحفون بالسماء، ولنقف معهم ونساعدهم حتى تستديم هذه النِّعَم، ولنحذر من الإسراف؛ قال الله تعالى:(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١).

أدلة وجوب شكر نعم الله:

- (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة:١٥٢).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة: ١٧٢).
- (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (النساء: ١٤٧).
- (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) (الأعراف: ٥٨).
- (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الأنفال: ٢٦).
- (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الحج: ٣٦)
- (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) (الفرقان: ٦٢).
- (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:٤٠)
- (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (القصص: ٧٣).
- (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (العنكبوت: ١٧).
- (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الروم: ٤٦).

- (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان: ١٢).

ثمار شكر نعم الله:

- دخول الشاكر في قائمة المؤمنين: لأنّ العبد المؤمن يتميّزُ بشكر الله تعالى على كلّ ما يصيبه، إن كان خيراً فرح وشكر، وإن كان شراً احتسب وصبر، فهو يعلم أنّ كلّ ما يأتي من الله هو خيرٌ له وإن كان ظاهره شراً، وهذا ما يسمّى "النعمة الباطنة".
- زيادة النعمة: قال تعالى :(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم: ٧)، ومن كرم الله تعالى أنّه يكافئ العبد على شكره النعمة، فيُديمها لصاحبها ويزيدُها له، وليحذرْ المسلم من نسيانِ الشكر؛ لأنه بذلك يعرّض نفسه للعذاب وزوال النعمة.
- اكتسابُ الأجر في الآخرة: لا تقتصرُ مكافأة الله لعبده الشكور على حدود الحياة الدنيا، إنما تجتازُها لينالَ الأجرَ والجزاء العظيمَ منه تعالى في الآخرة. فهو سبحانه القائل: (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٥)
- باب لرضا المولى سبحانه وتعالى عن عبده، وسبب للنجاة من العذاب الذي قد يحلّ به؛ لأنّ العبد الشكور ينجيه اللهُ -عزّ وجل-من العذاب كما ينجي المؤمن بسبب إيمانه.

كلمات في شكر النعمة:

- سبحانك يا ربنا لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
- اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وعلو مكانك.
- اللهم لك الحمد والشكر ملئ السماوات والأرض وما بينهما وملئ ما شئت من بعد.
- اللهم لك الحمد والشكر عدد ذرات الكون في السماوات والأرض وما بينهما وما وراء ذلك.
- اللهم لك الحمد والشكر في الأولى ولك الحمد والشكر في الآخرة، ولك الحمد والشكر من قبل، ولك الحمد والشكر من بعد، وأناء الليل وأطراف النهار وفي كل حين ودائماً وأبداً.

- اللهم لك الحمد في اليسر والعسر، اللهم لك الحمد على نعمك التي لا يحصيها غيرك.
- سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلّا أنت، أسألك إجابة الدعاء والشكر في الشدة والرخاء.
- سبحانك ما أحلمك، وبحالي ما أعلمك، وعلى تفريج همي ما أقدّرك، أنت ثقتي ورجائي، فاجعل حسن ظني فيك جزائي، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.
- الحمد لله رب العالمين، الذي أحصى كل شيء عدداً، وجعل لكل شيء أمداً، ولا يشرك في حكمه أحداً، وخلق الجن وجعلهم طرائق قدداً.
- الحمد لله رب العالمين الذي علا فقهر، وملك فقدر، وعفا فغفر، وعلم وستر، وهزم ونصر، وخلق ونشر.
- الحمد لله رب العالمين الذي جعل لكل شيء قدراً، وجعل لكل قدر أجلاً، وجعل لكل أجل كتاباً.

٥-الرضا بقضاء الله

القاعدة الخامسة من قواعد السلوك مع الله هي الرضا بقضاء الله، ونبيّن فيما يأتي مفهومها، ومشروعية وجوبها، وثمارها.

مفهوم الرضا بقضاء الله:

الإيمان بالقضاء والقدر فرع من الإيمان بالله الوارد في القاعدة الأولى؛ ولكن هذه القاعدة تختص بخلق الرضا بقضاء الله وبيان آثاره على السلوك الإنساني.

والرضا بقضاء الله هو تَقَبُّل ما يقضي به الله عز وجل من غير تردُّد ولا معارضة؛ لأن كل ما حصل لك أو عليك إنما هو بقدر الله؛ فلا تحزن على أمر فات، ولا تَخف مما هو آت.

وعلامات الرضا ثلاث:

- الاستخارة قبل الاختيار.
- فقد المرارة عند القضاء.
- دوام حب الله في القلب بعد القضاء.

أدلة وجوب الرضا بقضاء الله:

- (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥-١٥٧)
- (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت:٢-٣).
- (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة:٢١٤).
- (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (٢٢-٢٣).
- (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩).

- قال صلى الله عليه وسلم: (لا يقضي اللَّهُ للمؤمِنِ مِن قضاءٍ إلَّا كان خيرًا لهُ) (تفسير القرآن لابن كثير).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (عجبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ إنْ أصابَتْه سرَّاءُ شكَر وإنْ أصابَتْه ضرَّاءُ صبَر وكان خيرًا له وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ) (صحيح مسلم).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (وَارْضَ بِما قَسَمَ الله لَكَ، تَكُنْ أَغْنَى الناسِ) (سنن الترمذي).

ثمار الرضا بقضاء الله:

يترب على الرضا بقضاء الله أن يعيش الإنسان حياة سعيدة مطمئنة؛ تقيه من الفتن التي يختبر الله بها عباده. فيكون الثبات عند مواجهة الأزمات، واستقبال مشاق الحياة بقلب ثابت ويقين صادق.

إن الرضا بقضاء الله يهدئ روع المؤمن عند المصائب وعند فوات المكاسب، فلا تذهب نفسه عليها حسرات، ولا يلوم نفسه أو يعنفها، بل يصبر ويرضى بحكم الله تعالى، ويعلم أن هذا هو عين قضاء الله وقدره. قد يفعل الإنسان بحريته ما ينافي الرضا الإلهي بقضائه، ولكنّه لا يستطيع أن يفعل ما ينافي المشيئة؛ فالرضا بقضاء الله وقدره باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين.

قيل: الرِضا بابُ اللهِ الأعظم: بالرِضا تدخُلُ على الله، وبالسُخطِ تحتجبُ عنه، يقول الله عزّ وجل: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ، كَلَّا...) (الفجر:١٥-١٧). يعني: يا عِبادي ليسَ عطائي إكراماً، ولا منعي حِرماناً، عطائي ابتلاء وحِرماني دواء.

قيل لأحد العارفين بالله: متى يبلُغُ العبدُ مقامَ الرِضا؟ قالَ: إذا أقامَ نفسَهُ على أربعةِ أُصول: يا ربي إن أعطيتني قَبِلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتَني أجبت.

٦-عدم اليأس من رحمة الله

القاعدة السادسة من قواعد السلوك مع الله هي عدم اليأس من رحمة الله؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة مشروعيتها، وثمارها.

مفهوم عدم اليأس من رحمة الله:

اليأس: هو القطع على أنّ المطلوبَ لا يتحَصّلُ، لتحققِ فواتِه.

والقنوط: هو شدة اليأس من الخير.

اليأس والقنوط: سَـــدّ لباب التفاؤل والأمل، وتوَقعٌ للخيبة والفشل، واستبعادٌ للفرَج بعد الشـدة، واليُسْـر بعد العُسْـر، وتغييبٌ للرّجاء في رَحمة الله وعفوه وغفرانه... فاليأس إحباط يصيب الروح والعقل معا، فيفقد الإنسان الأمل في إمكانية تغيير الأوضاع والأمور من حوله.

من أسباب اليأس التي يجب تجنبها:

- اسـتعجالُ الإنسـان للأمور: (وَكَانَ الإنسَـانُ عَجُولاً) (الإسـراء: ١١)، المتعجّلون هم أسـرع الناس يأسـاً، وذلك عندما لا تجري الأمور على هواهم أو حسب ما يتمنّون ويحبّون ويشتهون!
- وَزنُ الأمورِ بموازين الأرض لا بميزان السماء: قال رجلٌ لأحد الحكماء: إنّ لي أعداءً، فقال له: (وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ) (الطلاق: ٣) قال الرجل: ولكنهم يكيدون لي، فقال له: (وَلا يَحِيقُ المَكرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهلِهِ) (فاطر: ٤٣). قال الرجل: ولكنهم كثيرون، قال له: (كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذنِ اللَّهِ) (البقرة: ٢٤٩). وهكذا، فعندما نَرُدّ كل أمرٍ يواجهنا في حياتنا إلى الله -عز وجل -وحده. فإننا لن نيأس مطلقاً، بل ستبقى قلوبنا معلَّقةً بالأمل بالله -عز وجل-خالقنا وحده لا شريك له، ومدبّر الأمر كله.

أدلة النهي عن اليأس من رحمة الله:

- قال نبي الله يعقوب عليه الســـلام لأولاده لما أبلغوه فقد ابنه الثاني (وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف:٨٧).
- وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (الحجر:٥٦).

- (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر:٥٣).
- (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ، إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (هود: ٩-١١).
- (قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ) (الحجر: ٥٥-٥٦).
- (لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ) (فصلت: ٤٩).
- (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). (الحديد: ٢٢).

ثمار عدم اليأس من رحمة الله:

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "والذي ييأس في الضرّ من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رخيّة، وكل رجاء في الفرج، ويستبدّ به الضيق، ويثقل على صدره الكرب، فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء....

ألا إنه لا سبيل إلى احتمال البلاء إلاّ بالرجاء في نصر الله، ولا سبيل إلى الفرج إلاّ بالتوجّه إلى الله، ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضرّ والكفاح للخلاص إلاّ بالاستعانة بالله، وكل يائسة لا ثمرة لها، ولا نتيجة إلاّ زيادة للكرب ومضاعفة الشعور به."

فالمؤمن له صلابةٌ إيمانية تصد عنه أحداث الحياة؛ فالحياة كلها أكدار، وثباتها على حال من المحال، والدهر أيام، يوم لك، ويوم عليك، واليأس والقنوط سبب من أسباب فساد قلب العبد، وفتور همته، وضعف عزيمته، وقلة ثباته.

إن اليأس من رحمة الله مرض من أمرض القلوب، يعالج بحسن الظن بالله، ورَجاءُ رحمتِه؛ فواجبٌ على العبد أن يُحسن الظن بربه، وعليه أن يتدبرَ الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ في كرَم الله وعفوه ورحمته ومغفرته، مع الأخذِ بالأسباب التي اقتضتها حِكمة الله تعالى.

وعدم اليأس يتطلب الصبرُ، مع تمام الرضا بقضاء الله وقدَره؛ فإذا علم المرءُ وأيقن أن ما حصل له إنما هو بقضاء الله وقدَرهِ، استراحَ قلبُه، ولم ييأس لفوات شيء... ويجب التأسي بأنبياء الله ورُسُلِه؛ ففي سِيَرهِم أروع الأمثلة في الصبر والثبات وعدم اليأس والقنوط، فقد لبثوا في أقوامهم يدعونهم ويعلمونهم سنين عددا، من غير ملل ولا يأس ولا قنوط.

٧-التوكل على الله

القاعدة السابعة من قواعد السلوك مع الله؛ هي التوكل على الله؛ ونبيّن فيما يلي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم التوكل على الله:

التوكل على الله هو صدق اعتماد قلب المسلم على الله سبحانه في استجلاب المصالح، ودفع الضرر من أمور الدنيا والآخرة، وتوكيل جميع أموره إليه، وإيمان العبد إيماناً جازماً بأنَّه لا يُعطي إلا الله، ولا يَمنع إلا الله، ولا يَنفع غيره سبحانه، ولا يَضر سواه.

وتحقيق التوكل لا ينافي السعي والأخذ بالأسباب، التي قدَّر الله عزّ وجل المقدورات بها، وجرت سنة الله في خلقهِ بذلك، فالله سبحانه وتعالى أمر العبد بالأخذ بالأسباب، كما أمرهُ بالتوكلِ عليه سبحانه؛ فالسعي في الأسباب يكون بالجوارحِ طاعة لهُ، والتوكل على الله يكون بالقلبِ إيماناً بهِ سبحانه.

ولذلك على المسلم أن يتذكر الآتي:

- ليس هناك تعارضٌ بين التوكّلِ والأخذ بالأسباب، فيجب على المسلم الأخذ بالأسباب، وإن كانت في نظرهِ ضعيفة في نفسها أو ليس لها تأثيرٌ.
- عدم الاعتماد بشكلٍ أساسي وقاطعٍ على الأسباب فقط، وإنَّما يعتمدُ المسلمُ في البداية والنهاية على الله سبحانه، مع أخذهِ بالأسباب، فالله سبحانه يُقدّر الأمور بأسبابها.

قال ابن القَيِّم: التوَكُّل حال مرَكَّبة من مجموع أمور لا يتم إلا بها:
أولها: معرفة بالرَّبِّ وصفاته؛ من العلم والقُدرة والقَيُّوميَّة.
الثاني: الأخْذ بالأسباب؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جَعَل لكلِّ شيء سببًا.
الثالث: رُسُوخ القلب في مقام التوحيد، فلا يلتفتْ إلى غير الله عزَّ وجلَّ.
الرابع: اعتماد القلْب على الله، فلا يتعَلَّق بالأسباب، ولكن يعتمد على مُدَبِّر الأمر، ومُسَبِّب الأسباب.
الخامس: أن يحسنَ العبدُ ظنَّه بربِّه ومَوْلاه، فيعتقد أنَّ تدبير الله عزَّ وجل له خير مِن تدبيره لنفسه.
السادس: أن يستسلمَ لهذا التدبير.
السابع: أن يُفَوِّض الأمورَ كلها لله -عزَّ وجلَّ.

الثامن: أن يرضى بقضاء الله -عزَّ وجلَّ.

أدلة وجوب التوكل على الله:

- في مقام العبادة :(فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) (هود: ١٢٣).
- وفي مقام الدعوة:(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة: ١٢٩).
- وفي مقام الرزق :(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٢، ٣).
- وفي مقام الحكم والقضاء: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (الشورى: ١٠).
- وفي مقام الجهاد (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (آل عمران: ١٦٠).
- وفي مقام الهجرة والسفر: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل: ٤١، ٤٢).
- وفي مقام العهود والمواثيق:(قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (يوسف: ٨٠).
- عند اليأس من هداية الكفار: (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا) (الأحزاب:٤٨).
- وإذا نزل البلاء :(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ٥١).
- وفي كل ما يقوله الإنسان ويفعله ويعزم عليه يتوكل فيه عليه :(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩)، وقال سبحانه:(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً) (النساء: ٨١)، وقال سبحانه: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً) (الفرقان: ٥٨).

ثمار التوكل على الله:

التوكل على الله أشملُ وأعم من أن نحيط بمجالاته ومواطنه؛ فهو يعم جميعَ مجالات الحياة في الدنيا والآخرة. كما أن إنَّ القُعُود عن الأسباب وترْك السعي ليس من التوَكُّل على الله في شيء؛ بل هو تواكُل واتِّكال. ويمكن تقسيم الأسباب إلى ثلاثة أقسام:

- سبب مقطوع به بتقدير الله عز وجل كالطعام الذي يدفع أثرَ الجوع، والزرع الذي يُرجى منه النماء، ومثل هذه الأسباب يجب الأخذُ بها شرعًا، ولا يجوز لأحد أن يتركها بدعوى التوكل على الله.
- سبب مظنون (ظني) يُرجى من مباشرته تحقُّقُ المطلوب بتوفيق الله عز وجل كالتداوي لدفع المرض وجلب العافية.
- سبب وهمي، يعتقد كثيرٌ من الناس أنه يجلب النفعَ، ويدفع الضر، وهو في الحقيقة لا تأثير له؛ ولهذا نهى الشرعُ عنه؛ كالتطير والتشاؤم، والذَّهابِ للكاهن والعراف، والاستسقاءِ بالأنواء والنجوم، وتعليقِ التمائم، وسؤالِ غير الله.

للتوكل على الله ثمار كثيرة منها:

- سعة الرزق: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم لو أنكم تتوكَّلُونَ على اللهِ حقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرزُقُ الطيرَ تَغْدُو خِمَاصًا وتروحُ بِطانًا) (مسند أحمد)، أي تغدوا أول النهار جياعاً وترجع آخر النهار شباعاً.
- سبيل إلى قضاء الدين: قال تعالى:(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣).
- يقي من الشيطان: قال تعالى :(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل: ٩٩).
- يذهب التشاؤم: حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من التشاؤم وقال: (الطِّيَرَةُ شِركٌ، الطِّيَرَةُ شِركٌ، وما منا إلا، ولكنَّ اللهَ يُذهِبُه بالتَّوَكُّلِ) (صحيح الترغيب).
- التوكل الحق طريق إلى دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب: قال صلى الله عليه وسلم:(يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ ألْفًا بغيرِ حِسابٍ، قالوا: ومَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقامَ عُكّاشَةُ، فقالَ: ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: أنْتَ

منهمْ، قالَ: فَقامَ رَجُلٌ، فقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهِ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ) (صحيح مسلم). وهذا الحديث لا يدلُّ على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً، إنما المراد أنهم يتركون الأمورَ المكروهة شرعًا مع حاجتهم إليها؛ توكلاً على اللَّه تعالى فإنهم لا يسترقون؛ أي: لا يطلبون من غيرهم الرقية، وإنما يطلبون الشفاء من اللَّه عز وجل مباشرةً، ويستعملون الرقى الشرعية الثابتة في آيات الكتاب وصحيح السنة، ولا يكتوون؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يحبُّ الكي، وينهى عنه، ولا يتطيرون؛ ولا يتعلقون بالأوهام، معتقدين أن التدبير بيد الله عز وجل.

- التوكل على الله سبيل العزة، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال:٤٩).
- التوكل على الله عنوان الإيمان وأمارة الإسلام: قال تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (المائدة: ٢٣).

٨-الوفاء بالعهد

القاعدة الثامنة من قواعد السلوك مع الله هي الوفاء بالعهد؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الوفاء بالعهد:

ورد في القرآن الكريم عدد من الألفاظ، يجمعها قاسم لغوي مشترك، يدل على الارتباط، والالتزام، والإحكام؛ منها العهد والميثاق، والعقد.

والعهد هو حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، والميثاق هو العهد المؤكد، والميثاق الغليظ هو العقد الموثق والمحكم. ويكون التوثيق باليمين أو بالكتابة أو بالشهادة.

ويكون العقد بين اثنين أو أكثر، ولا يكون من واحد؛ والعهد قد ينفرد به الواحد، وقد يكون بين اثنين أو أكثر؛ ويكون العقد بين الناس، والعهد قد يكون بين المخلوق والخالق، وقد يكون بين الناس. والوفاء بالعهد هو الالتزام به وتنفيذه وعدم النكوث به.

أدلة وجوب الوفاء بالعهد:

- (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة:٢٧).
- (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: ٤٠).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (الأنعام:١).
- (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (النحل:٩١).
- (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) (الأنفال: ٥٥ – ٥٦).
- (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ٢٣).
- (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٤).
- (وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد:٨).

- (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (الرعد:٢٠-٢١).

ثمار الوفاء بالعهد:

تتجلى ثمار الوفاء بالعهد في الالتزام بالعهود التي بين الله وبين الخلق، والعهود التي بين الخلق.

بعض العهود التي بين الله وبين الخلق:

- العهد الذي بين العبد والرب، فإن الله خلق الإنســـــان بقدرته، ورباه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة وأن يعترف بها؛ فقال سبحانه: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (يس:٦٠).
- مَا أَخَذَهُ الله تعالى عَلَى الْبَشَرِ بأَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران:٨١).
- إيمان الفطرة:(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف ١٧٢).
- نشر العلم وتبليغه وبيانه: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) (آل عمران:١٨٧).
- الطريق إلى الجنة:(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١١١).

أمثلة للعهود التي بين الخلق:

- قيام المسلم بما التزم به من قول أو كتابة تجاه المسلمين وغيرهم.

- توكيد اليمين وعدم نقضها.
- عقد الزواج من العهد. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أَحَقُّ ما أوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أنْ تُوفُوا به ما اسْتَحْلَلْتُمْ به الفُرُوجَ) (صحيح البخاري).
- حفظ حقوق الجار قال صلى الله عليه وسلم: (واللهِ لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ قيل: من يا رسولَ اللهِ؟ قال: الذي لا يأمنُ جارُه بوائقَه قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُه؟ قال: شرُّه) (صحيح الترغيب).
- إيفاء المسلمين حقوقهم عامة؛ قال صلى الله عليه وسلم:(حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ) (صحيح مسلم).
- أداء الدين لمستحقيه وعدم المماطلة فيه؛ قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أخذَ أموالَ الناسِ يُريدُ أداءَها، أدَّى اللهُ عنْهُ، ومَنْ أخذها يريدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللهُ) (صحيح البخاري).
- التسويفِ في أداء أُجرةُ الأجراء وحقوقُ العمالِ الضعفاء، قال الله عز وجل: (ثلاثةٌ أنا خَصمُهُم يومَ القيامةِ: رجلٌ أعطَى بي ثمَّ غدرَ، ورجلٌ باعَ حُرًّا فأكلَ ثمنَهُ، ورجلٌ استأجرَ أجيرًا فاستَوفَى منهُ ولَم يُعطِهِ أجرَهُ) (صحيح البخاري).
- مَنْ عَاهَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْنَّاسِ، وَوَعَدَهُ بِهِبَةٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ بَذْلِ مَعُونَةٍ أَوْ زِيَادَةِ أَجْرٍ أَوْ مُكَافَأةٍ أَوْ إنْجَازِ عَمَلٍ أَوْ قَضَاءِ حَاجَةٍ أَوْ أدَاءِ دَيْنٍ وَجَبَ عَلَيْهِ أنْ يَرْعَى عَهْدَهُ وَألاَّ يُخْلِفَ وَعْدَهُ، قال صلى الله عليم وسلم: (أربَعٌ مَن كُنَّ فيه فهو مُنافِقٌ خالصٌ، ومَن كانت فيه خَلَّةٌ منهنَّ كان فيه خَلَّةٌ مِن نِفاقٍ حتَّى يدَعَها: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا عاهَد غدَر، وإذا خاصَم فجَر) (صحيح مسلم).

٩-التوبة إلى الله

القاعدة التاسعة من قواعد السلوك مع الله هي التوبة إلى الله؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم التوبة إلى الله:

التوبة هي الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه الله ظاهراً وباطناً؛ فهي ترك الذنب مخافة الله، واستشعار قبحه، والندم على فعله، والعزيمة على عدم العودة إليه. فهي شعور بالندم على ما وقع، وتوجه إلى الله فيما بقي، وكف عن الذنب.

أدلة وجوب التوبة:

- طاعة لأمر الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا....) (التحريم:٨). وأمر الله ينبغي أن يقابل بالامتثال والطاعة.
- الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور:٣١). فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يتلذذ، ولا يسر ولا يطمئن؛ ولا يطيب؛ إلا بعبادة ربه والإنابة إليه والتوبة إليه.
- محبة الله تعالى للعبد، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة:٢٢٢). وهل هناك سعادة يمكن أن يشعر بها إنسان بعد معرفته أن خالقه ومولاه يحبه إذا تاب إليه؟!
- دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) (مريم:٥٩،٦٠). وهل هناك مطلب للإنسان يسعى من أجله إلا الجنة؟!
- نزول البركات من السماء وزيادة القوة والإمداد بالأموال والبنين، قال تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (هود:٥٢)، وقال سبحانه: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (نوح:١٠-١٢).
- تكفير السيئات وتبديلها الى حسنات، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ

يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التحريم:٨)، وقال سبحانه: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان:٧٠).

ثمار التوبة إلى الله:

نبيّن فيما يأتي أمور تعين على التوبة، وشـــروط التوبة الصــــادقة، وثمار قبول التوبة.

بعض الأمور التي تعين على التوبة:

- صدق النية واخلاص التوبة: فإن العبد إذا أخلص لربه وصدق في طلب التوبة أعانه الله وأمده بالقوة، وصـــرف عنه الآفات التي تعترض طريقه وتصـــده عن التوبة، ولهذا قال تعالى عن يوســف عليه الســلام: (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف:٢٤).
- محاسبة النفس: فإن محاسبة النفس تدفع إلى المبادرة إلى الخير، وتعين على البعد عن الشــر، وتســاعد على تدارك ما فات، وهي منزلة تجعل العبد يميز بين ما له وما عليه، وتعين العبد على التوبة، وتحافظ عليها بعد وقوعها.
- تذكّير النفس ومعاتبتها وتخويفها: قل لها: يا نفس توبي قبل أن تموتي؛ فإن الموت يأتي بغتة، أما تعلمين أن الموت موعدك؟! والقبر بيتك؟ والتراب فراشــك؟ والدود أنيســك؟ ... أما تخافين أن يأتيك ملك الموت وأنت على المعصية قائمة؟
- عزل النفس عن مواطن المعصــية: فترك المكان الذي كنت تعصــي الله فيه مما يعينك على التوبة، فإن الرجل الذي قتل تسعة وتسعون نفساً قال له العالم: (إن قومك قوم سوء، وإن في أرض الله كذا وكذا قوماً يعبدون الله، فاذهب فاعبد الله معهم).
- الابتعاد عن رفقة السوء: فإن طبعك يسرق منهم، واعلم أنهم لن يتركوك وخصوصاً أن من ورائهم الشياطين تؤزهم الى المعاصي أزاً، وتدفعهم دفعاً، وتسوقهم سوقاً. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (الرَّجُلُ على دِينِ خليلِهِ؛ فلينظُرْ أحَدُكم مَن يخالِلُ). (صحيح الترمذي).
- تدبّر عواقب الذنوب: فإن العبد إذا علم أن المعاصي قبيحة العواقب سيئة المنتهى، وأن الجزاء بالمرصــــاد؛ دعاه ذلك إلى ترك الذنوب بداية، والتوبة إلى الله إن كان اقترف شيئاً منها.
- تذكر الجنة والنار: تذكّر عظمة الجنة، وما أعد الله فيها لمن أطاعه

واتقاه، وتذكّر النار وما أعد الله فيها لمن عصاه.

- الانشغال بما ينفع وتجنب الوحدة والفراغ: فإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، والفراغ يؤدي إلى الانحراف والشذوذ والإدمان، ويقود إلى رفقة السوء.
- مخالفة الهوى: فليس أخطر على العبد من هواه، ولهذا قال الله تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) (الفرقان:٤٣). فلا بد لمن أراد توبة نصوحاً أن يحطم في نفسه كل ما يربطه بالماضي الأثيم، ولا ينساق وراء هواه.
- وهناك أسباب أخرى تعين على التوبة غير ما ذُكر منها: الدعاء الى الله أن يرزقك توبة نصوحاً، وذكر الله واستغفاره، وقصر الأمل وتذكر الآخرة، وتدبر القرآن، والصبر خاصة في البداية، إلى غير ذلك من الأمور التي تعين على التوبة.

شروط التوبة الصادقة:

- الإخلاص لله تعالى، قال سبحانه: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء:١٤٦).
- الإقلاع عن المعصية: فلا تتصور صحة التوبة مع الإقامة على المعاصي حال التوبة. أما إن عاود الذنب بعد التوبة الصحيحة، فلا تبطل توبته المتقدمة، ولكنه يحتاج الى توبة جديدة وهكذا.
- الاعتراف بالذنب: إذ لا يمكن أن يتوب المرء من شيء لا يعده ذنباً.
- الندم على ما سلف من الذنوب والمعاصي: ولا تتصور التوبة إلا من نادم حزين آسف على ما بدر منه من المعاصي، لذا لا يعد نادماً من يتحدث بمعاصيه السابقة ويفتخر بذلك ويتباهى بها.
- العزم على عدم العودة: فلا تصح التوبة من عبد ينوي الرجوع الى الذنب بعد التوبة، وإنما عليه أن يتوب من الذنب وهو يحدث نفسه ألا يعود إليه في المستقبل.
- ردّ المظالم إلى أهلها: فإن كانت المعصية متعلقة بحقوق الآدميين وجب عليه أن يرد الحقوق إلى أصحابها إذا أراد أن تكون توبته صحيحة مقبولة؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه) (صحيح البخاري)
- أن تصدر في زمن قبولها: وهو ما قبل حضور الأجل، وطلوع الشمس

من مغربها، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ يَقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ) (سنن الترمذي)، وقال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا) (صحيح مسلم).

ثمار قبول التوبة:

- أن يكون العبد بعد التوبة خيراً مما كان قبلها: وكل إنسان يستشعر ذلك من نفسه، فمن كان بعد التوبة مقبلاً على الله، عالي الهمة قوي العزيمة دلّ ذلك على صدق توبته وصحتها وقبولها.
- أن يكون الخوف من العودة إلى الذنب مصاحباً له: فإن العاقل لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر حتى يسمع الملائكة الموكلين بقبض روحه، قال تعالى: (أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت:٣٠)، فعند ذلك يزول خوفه ويذهب قلقه.
- أن يستعظم الجناية التي تصدر منه وإن كان قد تاب منها: يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال له هكذا). وقال بعض السلف: (لا تنظر الى صغر المعصية ولكن انظر الى من عصيت).
- أن تحدث التوبة للعبد انكساراً في قلبه وذلاً وتواضعاً بين يدي ربه: فليس هناك شيء أحب الى الله من أن يأتيه عبده منكسراً ذليلاً خاضعاً مخبتاً منيباً، رطب القلب بذكر الله، لا غرور، ولا عجب، ولا حب للمدح، ولا معايرة ولا احتقار للآخرين بذنوبهم. فمن لم يجد ذلك فليتهم توبته، وليرجع الى تصحيحها.
- أن يحذر من أمر جوارحه: فليحذر من أمر لسانه فيحفظه من الكذب والغيبة والنميمة وفضول الكلام، ويشغله بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه. ويحذر من أمر بطنه، فلا يأكل إلا حلالاً. ويحذر من أمر بصره، فلا ينظر الى الحرام، ويحذر من أمر سمعه، فلا يستمع الى غناء أو كذب أو غيبة، ويحذر من أمر يديه، فلا يمدهما في الحرام، ويحذر من أمر رجليه فلا يمشي بهما الى مواطن المعصية، ويحذر من أمر قلبه، فيطهره من البغض والحسد والكره، ويحذر من أمر طاعته، فيجعلها خالصة لوجه الله، ويبتعد عن الرياء والسمعة.

١٠-حب الله فوق كل شيء

القاعدة العاشرة من قواعد السلوك مع الله هي حب الله فوق كل شيء؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم حب الله فوق كل شيء:

المحبة هي ميل القلب إلى المحبوب، ومحبة الله هي أساس الإيمان وأصل العبادة. ومحبة العبادة واجبة في حق الله تعالى، ويجب أن يفرد الله عز وجل بها، وصرفها لغير الله شركٌ أكبر. فمن أحبَّ غير الله تعالى محبة العبادة، فقد أشرك، وهذا مِثل حال المشركين وعَبَدة الأوثان وعُبَّاد القبور، تجد أحدهم يتوجَّه لقبرِ الوليّ وفي قلبه محبةٌ لذلك الولي وتعظيم له، مما يجعله في رغب ورهب، فيتوجه لهذا الولي بأنواع العبادات؛ من دعاء، واستغاثة، واستعانة، وذبح، ونذر، وغيرها؛ لأجل تحصيل مطلبه، فهذه هي محبة العبادة التي يُعد صرفها لغير الله تعالى شركًا أكبر. فمَن اتخذ لله ندًّا وشريكًا جعل محبته تساوي محبة الله، فقد وقع في الشرك.

قال ابن القيم رحمه الله: "الدين كله يدور على أربع قواعد: حب وبغض، ويترتب عليهما فعل وترك. فمن كان حبه وبغضه، وفعله وتركه لله فقد استكمل الايمان، بحيث إذا أحب أحب لله، وإذا أبغض أبغض لله، وإذا فعل فعل لله، وإذا ترك ترك لله، وما نقص من إضافة هذه الاربعة إلى الله نقص من إيمانه ودينه بحسبه."

أدلة وجوب محبة الله فوق كل شيء:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة: ٥٤)، فبيَّن الله صفةَ أهل الإيمان الكُمَّل أنهم يحبهم الله وهم يحبونه، ثم أثمر حبُّهم هذا لله أن صاروا يحبون إخوانَهم المؤمنين في الله. ومعنى (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ): أنهم رحماء متواضعون لهم.
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥)، فالمؤمنون يُحبون الله أعظم حبٍّ؛ حب العبادة، حب مع ذل وانقياد وخضوع.

- يجب ألا تطغى محبة غير الله على محبة الله ورسوله، فإذا ساوتها أو زادت عليها، فإنها محبة محرَّمة؛ قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة: ٢٤).
- وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ). (صحيح البخاري).

ثمار أن تكون محبة الله فوق كل شيء:

تتحقق ثمار محبة العبد لله بالتمسك بالأمور التي تجلب هذه المحبة، ومنها:

- قراءة القرآن بالتدبُّر والتفهم لمعانيه وما أُريدَ به؛ ليتفهم مراده.
- التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.
- دوام ذكره سبحانه على كل حال؛ باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبُه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.
- فعل ما يحبه الله، ولو كانت نفسه تكرهه، ترك ما يكرهه الله، ولو كانت نفسه تحبه.
- مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته، ومشاهدتها، ومعرفتها، وتقلب القلب في رياض هذه المعرفة وميادينها؛ فمن عرَف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبَّه لا محالة.
- انكسار القلب بكُلِّيَّتِه بين يدي الله تعالى.
- الخلوة به تعالى لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه سبحانه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.
- مجالسة المحبِّين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، كما تنتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحةُ الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.
- البعد عن كل سبب يحُول بين القلب وبين الله جل وعلا (البدع -المعاصي -فضول الكلام المباح).

ثمار محبة العبد لله جل وعلا:

- حب لقاء الله: قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ) (صحيح مسلم)؛ وليس المعنى أن يتمنَّى العبد الموت، أو يدعو به على نفسه، فهذا منهيٌّ عنه، ولكن إذا نزل الموت بالعبد الصالح أحبَّ نزوله؛ لأنه سيفضي به إلى لقاء الله وما أعد له من الثواب والنعيم. كما أن لقاء الله يكون في حالات كثيرة مثل الصلاة، والتصدق، وبر الوالدين، وصلة الأرحام... وكل الأعمال الصالحة؛ قال تعالى:(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف:١١٠).
- أن يكون كمال أنسِه بمناجاة الله: وتلاوة كتابه، وكمال تنعُّمه بالخلوة، وأن يكون كمال استيائه مما ينغص عليه ذلك.
- أن يكون صابرًا على المكاره.
- ألا يؤْثر شيئًا من المحبوبات على محبة الله: لا ولدًا، ولا أهلًا، ولا شهوة، بل يكون مقاومًا لداعي الهوى، معرضًا عن الكسل، مواظبًا على الطاعة، بعيدًا عن المعاصي.
- أن يكون مُحبًّا لذكر الله: لا يفتر عنه لسانه، ولا يخلو عنه قلبه.
- محبة كلامه: فيعكف على كتاب الله تلاوةً وحفظًا، وتفسيرًا وتدبرًا وعملًا.
- أن يحب ما يحب الله، ويبغض ما يبغضه: فيحب عبادته وطاعته وأولياءه، ويغضب إذا انتُهكت محارمُه.
- أن يتأسَّف على ما يفوته مِن طاعة الله وذكره: فإن فاته وِرْده، وجد لفواته ألمًا عظيمًا أعظم من تألُّم الحريص على ماله إذا سُرق أو ضاع.
- أن يستقِلَّ في حق محبوبه جميعَ أعماله ولا يراها شيئًا.
- أن يكون متبعًا للنبي صلى الله عليه وسلم، متمسكًا بسنته ظاهرًا وباطنًا؛ في الهيئة، وفي الأخلاق، وفي العبادات، وفي السلوك؛ قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران: ٣١).

المجموعة الثانية: القواعد الآمرة لسلوك الفرد

تتضـــمن هذه المجموعة القواعد التي تؤدى إلى انضـــباط الســـلوك الإنساني في العمل، فبعض هذه القواعد ذو صلة مباشرة بالعمل، والبعض الآخر يكســـب النفس الفضـــائل التي تعين الإنســـان على العمل. وتتكون المجموعة من عشـرة قواعد؛ نبين في كل منها ثلاثة أمور: مفهوم القاعدة، وأدلة وجوبها، وثمارها. وهذه القواعد هي الآتي:

١١-إتقان العمل
١٢-مجاهدة النفس
١٣-التسابق إلى الخيرات
١٤-الإخلاص لوجه الله
١٥-الاعتدال والتوسط
١٦-القدوة الحسنة
١٧-الصبر
١٨-الأمانة
١٩-التواضع
٢٠-الصدق

١١-إتقان العمل

القاعدة الأولى من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي اتقان العمل؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم إتقان العمل:

الإتقان صفة من صفات الله؛ فهو الذي أتقن كل شيء خلقه وأحسن كل شيء أبدعه قال الله تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل: ٨٨).

واتقان العمل هو القيام بالعمل المراد إنجازه، والانتهاء منه بأفضل صورة وعلى أتمّ وجه، ويكون ذلك بالآتي:

- بذل الجهد بدقة ومهارة وإخلاص.
- البعد عن التراخي في العمل.
- الحرص على تحقيق الجودة المناسبة.
- الالتزام بالمتطلبات والتقيد بالضوابط التقنية.
- القيام بالعمل في الوقت المحدد مسبقاً ودون تأخير.
- التفكير في تطوير العمل لاحقاً لمستويات أفضل.

والإتقان هو معيار التميز بين المجتهد والمقصر، فالناس يؤدون أعمالهم، ولكن الفارق بينهم يكون في درجة إتقانهم لأعمالهم، والعبرة ليست في أداء العمل فقط، ولكن في الصفة التي أُدّي بها العمل.

ترتبط أهمية اتقان العمل بأهمية العمل ذاته؛ فهو من لوازم الحياة وضروراتها، وحتى تنضبط أمور الحياة من خلاله وتتحقق أهدافه لا بد من إتقانه؛ فالعمل هو ما يَبني الحضارات والأمم، وهو أساسُ نهضتها وتطورّها.

أدلة وجوب اتقان العمل:

- (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥)، والإحسان: هو الإتقان والإحكام.
- (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٠٥).
- (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). (الكهف: ٧).
- (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) (الكهف: ٣٠).

- وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ). (صحيح الجامع).
- قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) (صحيح النسائي).

ثمار اتقان العمل:

تتحقق ثمار اتقان العمل بالأمور الآية:

- الإخلاص في العمل: فإخلاص العمل لله هو أساس القبول ويكون باستحضار النية وتجريدها من كل الشوائب والرغبات، وإخلاصها لله في كل عمل حتى يحوز القبول عند الله. وللإخلاص ثمرات طيبة في نفس الإنسان ومن أهم هذه الثمرات السكينة النفسية.
- المراقبة: وهي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر إليه، سامع لقوله وهو مطلع على عمله في كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين.
- استشعار المسؤولية: تكمن مسؤولية العمل في أداء ما استرعانا الله عليه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب:٧٢)
- علو الهمة: الهمة هي الباعث على الفعل، وتوصف بعلوٍ أو سفول. وعالي الهمة منطلق بثقة وقوة وإقدام نحو غايته التي حددها على بصيرة وعلم، فيستهين الصعاب ولا يستفزه لوم اللائمين.
- الإيجابية: ببناء روح الثقة والتعاون، وتنمية مهارات التواصل، وحسن التعامل بين العاملين في بيئة عمل واحدة، والتركيز على فعالية الأداء والتخطيط ووضع الأهداف، وإعطاء المزيد من الشفافية والوضوح في مواجهة القضايا والمشكلات، والاستخدام الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة بما يحقق كفاءة الأداء، وتهيئة البيئة المناسبة لتحسين الخدمات والمنتجات التي يقدمها العمل.

١٢-مجاهدة النفس

القاعدة الثانية من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي مجاهدة النفس؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم مجاهدة النفس:

مجاهدة النفس: حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا قوى الإنسان على ذلك قوى على جهاد أعداء الدين؛ فالمجاهدة هي حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى. وقد وصف الله تعالى النفس في القرآن بثلاث صفات: نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس أمارة بالسوء.

- النفس المطمئنة: هي التي سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه، وهي التي يُقال لها عند الوفاة: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر: ٢٧ -٣٠).
- النفس اللوامة: هي التي تلوم صاحبها دائماً، تلومه إذا أحسن ليزداد إحساناً، وتلومه إذا أساء ليرجع عن إساءته. والنفس اللوامة نفس مؤمنة ولذلك أقسم الله بها قائلاً: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ...) (القيامة: ١، ٢).
- النفس الأمارة بالسوء: هي التي تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، وهي الأصل كما قال تعالى: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (يوسف: ٥٣).

أدلة وجوب مجاهدة النفس:

- (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت:٦٩).
- (وَجَـاهِـدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَـادِهِ) (الحجر:٧٨). الجهـاد في الله هو جهـاد النفس والهوى.
- (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (العنكبوت:٦).
- (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (النور: ٣٠ – ٣١).
- (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التغابن:١٦).

- (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا) (الإسراء: ٣٦).
- (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء:١١٠).
- (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات: ٤٠ – ٤١).

ثمار مجاهدة النفس:

خلق الله تعالى النفس بصفاتها الثلاث (الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة) امتحاناً وابتلاءً؛ ليقوم الإنسان بمهمته في هذه الحياة وليظهر مدى امتثاله لأمر ربه، هل سيهمل نفسه وينساها؟ أم سيعمل جاهداً على تزكيتها وتطهيرها؛ فقد أفلح من حاسبها وجاهدها ودفعها إلى الطاعة دفعاً وقد خاب وخسر من نسيها وأهملها.

الناس مع أنفسهم على قسمين:

- قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعاً لها تحت أوامرها.
- وقسم ظفروا بأنفسهم فقهروها فصارت طوعاً لهم، منفذة لأوامرهم. فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات: ٣٧ – ٣٩).

ويمكن تلخيص ثمار مجاهدة النفس في الآتي:

- إخضاع النَّفْس والهوى لطاعة الله عزَّ وجلَّ.
- تعوُّد الصبر عند الشَّدائد على الطاعات وعن المعاصي.
- طريق قويم يوصِّل إلى رضوان الله تعالى والجنة.
- قمع للشيطان ووساوسه.
- نهي النَّفْس عن الهوى فيه خير الدنيا والآخرة.
- من جاهد نفسه وأدَّبها سما بين أقرانه وفي مجتمعه.
- سوء الظن بالنَّفْس يعين على محاسبتها، وتأديبها.
- من يجاهد نفسه يمتلك ناصية الخير، ويصبح حسن الأخلاق.
- تحقُّق إنكار الذَّات وتصفي الجماعة من الأثرة الضارة بالجماعة والمجتمع.

١٣-التسابق إلى الخيرات

القاعدة الثالثة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي التسابق إلى الخيرات؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم التسابق إلى الخيرات:

التسابق إلى الخيرات هو التنافس في طاعة الله، والمنافسة هي المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك، فتنافسه فيه، حتى تلحقه أو تجاوزه؛ فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر. قال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: ٢٦).

والطاعات والخيرات كثيرة، وأحبها إلى الله أنفعها للناس؛ فعن ابن عمر أنَّ رجُلًا جاء إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أحَبُّ إلى اللهِ وأيُّ الأعمالِ أحَبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أحبُّ الناسِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ أنفعُهم للناسِ وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سرورٌ تدخِلُهُ على مسلِمٍ، أو تكْشِفُ عنه كُرْبَةً، أو تَقْضِي عنه دِيْنًا، أوْ تطردُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمْشِيَ معَ أخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إلِيَّ مِنْ أنْ أعتكِفَ في هذا المسجِدِ شهْرًا في مسجِدِ المدينَةِ، ومن كفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عورتَهُ، ومن كظم غضبَهُ ولو شاء أن يُمْضِيَهُ أمضاه ملأَ اللهُ قلْبَهُ رخاءً يومَ القيامَةِ، ومن مشى معَ أخيه في حاجةٍ حتى تَتَهَيَّأَ له ثبَّتَ اللهُ قدمَهُ يومَ تزولُ الأقدامُ) (صحيح الترغيب).

أدلة وجوب التنافس إلى الخيرات:

- (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ١٤٨).
- (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣).
- (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) (الحديد: ٢١).
- (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (الواقعة: ١٠ – ١٢).
- (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (المؤمنون: ٥٧ – ٦١).

- ومدح الله أنبياءه بهذه الصفة الحميدةِ فقال :(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء: ٩٠).

ثمار التسابق إلى الخيرات:

التسابق إلى الخيرات خلق لا يتصف به إلا المؤمن الصادق، والمسارعة إلى أعمال البر طبع لا يتخلق عليه إلا من وهبه الله تعالى رجاحة في العقل وانشراحا في الصدر وسلامة في القلب.

وتتجلى ثمار التسابق إلى الخيرات في الآتي:

- حسن الإيمان وصدق اليقين: فقد وصف الله المؤمنين الخالصين بأنهم هم الذين يسارعون في الخيرات طلبا للصلاح والفلاح؛ قال تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: ١١٤).
- حب الله تعالى للعبد باختياره ليجعله مفتاحا للخير: قال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء:٧٣).
- سبب لتفريج الكروب وستر العيوب: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (من نفَّسَ عن مسلِمٍ كُربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كُربةً من كُرَبِ الآخرةِ، ومن سترَ علَى مسلمٍ سترَهُ اللَّهُ في الدُّنيا والآخرةِ واللَّهُ في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ) (صحيح الترمذي).
- سبب لاستجابة الدعاء وقبول الرجاء: قال تعالى:(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء: ٨٩-٩٠).
- سبب للسعادة في الدنيا والآخرة: قال تعالى (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:٨٨-٨٩).

١٤-الإخلاص لوجه الله

القاعدة الرابعة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي الإخلاص لوجه الله؛ ونبيّن فيما يأتي مفهوما، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الإخلاص لوجه الله:

الإخلاص لوجه الله هو أن تكون نيتك في العمل لله، لا تريد به غير الله، لا رياء ولا سمعة ولا رفعة ولا تزلُّفاً عند أحد، ولا تترقب من الناس مدحاً ولا تخشى منهم قدحاً؛ فإذا كانت نيتك لله وحده ولم تزيّن عملك من أجل البشر فأنت مخلص. وقيل: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. فأخلص جميع أعمالك له سبحانه ولا تتطلع لأحد.

ويُعَدُّ الإخلاص أهم أعمال القلوب المندرجة في مفهوم الإيمان، وأعظمها قدراً وشأناً، بل إن أعمال القلوب عموماً أهم من أعمال الجوارح، ويكفي أنّ العمل القلبي هو الفرق بين الإيمان والكفر، فالساجد لله والساجد للصنم كلاهما قام بالعمل نفسه، لكن القصد يختلف، وبناء عليه آمن هذا وكفر هذا.

أدلة وجوب الإخلاص لوجه الله:

- (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).
- (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا) (الإنسان:٩).
- (... وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ...) (البقرة:٢٧٢).
- (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).
- (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٤).
- (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص: ٨٢-٨٣).
- (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) (الزمر: ٢).
- (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (غافر: ١٤)
- (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (غافر: ٦٥).

ثمار الإخلاص لوجه الله:

هناك عوامل تعين على الإخلاص لوجه الله، منها:

- الدعاء: كان أكثر دعاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً".
- إخفاء العمل: كلما استتر العمل مما يشرع فيه الإخفاء كان أرجى للقبول وأعز في الإخلاص.
- النظر إلى أعمال الصالحين: لا تنظر إلى أعمال رجال زمانك؛ وتطلع دائماً إلى الاقتداء بالأنبياء والصالحين يقول سبحانه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ) (الأنعام: ٩٠).
- احتقار العمل: آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه بعين الرضا فقد أهلكها، ومن نظر إلى عمله بعين العجب قلَّ معه الإخلاص.
- الخوف من عدم قبول العمل: كل عمل صالح تفعله احتقره وإذا عملته كن خائفاً من عدم قبوله، ولقد كان من دعاء السلف: " اللهم إنا نسألك العمل الصالح وحفظه ".
- عدم التأثر بكلام الناس: المسلم الموفق هو الذي لا يتأثر بمدح الناس فإذا أثنوا عليه خيراً إن فعل طاعة لم يزده ذلك إلا تواضعاً وخشية من الله، وأيقن بأن مدح الناس له فتنة، فدعا ربه أن ينجيه من هذه الفتنة.
- صحبة أهل الإخلاص ومعايشتهم، والحياة في رحابهم، ليتأسى بهم، ويأخذ عنهم، ويتخلق بأخلاقهم، فإن التأسي بهم صلاح، والتشبه بهم فلاح

ثمار الإخلاص لوجه الله كثيرة، منها الآتي:

- السكينة النفسية: الإخلاص يمنح صاحبه سكينة نفسية، وطمأنينة قلبية، تجعله منشرح الصدر، مستريح الفؤاد، فقد اجتمع قلبه على غاية واحدة، هي رضا الله عز وجل، وانحصرت همومه في هم واحد، هو سلوك الطريق الذي يوصل إلى مرضاته. قال صلى الله عليه وسلم: (من جعل الهمَّ همًّا واحدًا كفاه اللهُ همَّ دنياه، ومن تشعَّبَتْه الهمومُ لم يُبالِ اللهُ في أيِّ أوديةِ الدنيا هلَك) (صحيح الترغيب).

- القوة الروحية: الإخلاص يمنح المخلص قوة روحية هائلة، مستمدة من سمو الغاية التي أخلص لها نفسه، وحرر لها إرادته، وهي رضا الله ومثوبته. فإن الطامع في مال أو منصب أو لقب أو زعامة: ضعيف كل الضعف، إذا لاح له بادرة أمل في تحقيق ما يطمع فيه من دنيا، أما الذي باعها لله، فهو موصول بالقوة التي لا تضعف، والقدرة التي لا تعجز، ولهذا كان في تجرده وإخلاصه أقوى من كل قوة مادية يراها الناس.
- الاستمرار في العمل: الإخلاص يمد العامل بقوة الاستمرار، فإن الذي يعمل لله فلا ينقطع ولا ينثني ولا يسترخي أبدا، لأن الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول، فوجه الله باق إذا غابت وجوه البشر، أو هلك الخلق كل الخلق: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص:٨٨).
- صحة العبادة لقوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠).
- نصر الأمة لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّما يَنصرُ اللَّهُ هذِهِ الأمَّةَ بضَعيفِها، بدَعوتِهِم وصَلاتِهِم، وإخلاصِهِم) (صحيح النسائي).
- العفاف والصيانة من الوقوع في الآثام، قال الله تعالى مبينًا السبب في نجاة يوسف عليه السلام من داعي الإغراء: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٤).
- النجاة من إغواء الشيطان: (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (الحجر: ٣٩، ٤٠).
- إحراز ثواب العمل وإن لم يتمه أو لم يعمله: قال تعالى: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء:١٠٠)، وقال صلى الله عليه وسلم: (من كانت لَه صلاةٌ صلَّاها منَ اللَّيلِ، فَنامَ عنها كانَ ذلِك صدقةً تصدَّقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليهِ، وَكتبَ لَه أجرَ صلاتِهِ) (صحيح النسائي).

١٥-الاعتدال والتوسط

القاعدة الخامسة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي الاعتدال والتوسط؛ ونبين فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الاعتدال والتوسط:

الاعتدال هو الاستواء والاستقامة والتوَسُّطُ بين حالَيْن؛ بين مجاوزةِ الحد المشروع والقصورِ عنه.

الاعتدال والتوسط يعني فعل المطلوب والمأذون فيه من غير زيادة ولا نقصان؛ ذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر غلوّ وإفراط، والنّقص منه تقصير وتفريط، وكلٌّ من الإفراط والتَّفريط انحراف وميْلٌ عن الجادّة والصواب. وخير الأمور أوسطها.

والغلو هو المبالغةُ في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحدِّ. والتفريط هو التضييع، والتقصير، والترك، ومنشؤه غالبًا التساهلُ والتهاون.

قال ابن القيم رحمه الله: "الاسلام قصد بين الملل، والسنة قصد بين البدع، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه".

الاعتدال والتوسط حالة سلوكية محمودةٌ، تعصم الفردَ من الميل إلى جانبي الغلو والتفريط.

أدلة وجوب الاعتدال والتوسط:

- (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١).
- (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) (الإسراء: ٢٩).
- (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان: ٦٧).
- (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام:١٥٣).
- (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧).

- (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) (النساء:٢٧)
- (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان: ١٩).
- وقال صلى الله علية وسلم: (إنَّ لِرَبّكَ عَلَيْكَ حَقَّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) (صحيح البخاري).

ثمار الاعتدال والتوسط:

إن وسطية الإسلام شاملة جامعة لكل أمور الدين والدنيا والآخرة؛ وتتحقق ثمارها بالتخلص من معوقات تطبيقها وأهمها: الجهل، والتعصب، واتباع الهوى.

من ثمار الوسطية والاعتدال:

- البحث عن الحقيقة المجردة: والوصول إليها بعيداً عن نوازع الأهواء والشهوات، على أن تكون موافقة لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
- الاستقامة: الاستقامة بلزوم منهج الاعتدال والتوسط بلا انحراف، فالصراط المستقيم بين صراطي المغضوب عليهم والضالين.
- تحقيق مبدأ التيسير: فالإسلام مبني على اليسر، الذي يعتبر خاصية من خصائصه المميزة له عن بقية الأديان، قال تعالى: (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: ١٨٥).
- رفع الحرج: والحرج هو: كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس أو المال، قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) (الحج: ٧٨).
- تقرير مبدأ سماحة الإسلام ولينه: لأن الوسطية هي العدل والخيرية اللتان تقتضيان اللين والسماحة، هذه السماحة التي تبرز خاصة في نطاق الدعوة ونشر الدين، وفي معاملة العصاة والمخالفين.
- الأمان والاطمئنان: لكون الوسطية منطقة أمان وبعد عن الأخطار والمزالق.
- القوة والثبات: وذلك لأن الوسط هو مركز القوة في كل شيء، ويمكن أن تؤدي إلى ضبط علاقات الناس في شتى مجالات الحياة.

١٦-القدوة الحسنة

القاعدة السادسة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي القدوة الحسنة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم القدوة الحسنة:

القدوة هو الشخص الذي يُقتدى به، فيكون النموذج المثالي في تصرّفاته وأفعاله وسلوكه، بحيث يُطابق قوله عمله ويُصدّقه؛ فيكون القدوة بالنسبة لأتباعه، فيعملون على تقليده وتطبيق نهجه والحذو حذوه. وينبع تقليدهم إياه من الإرادة والقناعة الشخصيّة للمقتدي، لا بالضغط الخارجي أو الإلزام من جهة القدوة بذلك.

والهدف من اتباع القدوة الرقي لأعلى مستوى من الأخلاق والتعامل والعلم. وتؤدي القدوة الحسنة إلى إحداث تغيير في سُلُوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه، بالتشبه بالقدوة الصالحة، ويُصبح ما يطلب من السلوك المثالي أمرًا واقعيًّا ممكنَ التطبيق.

ودين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوة حسنة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم نبيُّنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ولذلك جعلَه الله لنا أُسوة وقدوة، بل أمرنا بذلك.

أدلة وجوب القدوة الحسنة:

- (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).
- وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام بعد أن ذكَر ثمانية عشر نبيًّا: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٩٠).
- (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان: ٧٤).
- (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٢٤).
- (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) (الممتحنة: ٤).

ثمار التأسي بالقدوة الحسنة:

للقدوة الحسنة أثر عِظَم في تشكيل الشخصيَّة الإنسانيَّة، ويرجع هذا التأثير إلى عدة أسباب ركَّز عليها الإسلام؛ منها:

- أن في فطرة الإنسان ميلاً قويًا للاقتداء.
- أنَّ المثال الحي الذي يتحلَّى بجُملة من الفضائل السلوكيَّة، يُعطي غيرَه قناعة بأن بلوغَها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.
- أن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال السلوكي، يُثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب.

من ثمار القدوة الحسنة:

- تهذيب الأفراد وإصلاحهم كما تجعل من المجتمع وحدة مترابطة عقائديًا وشعوريًا واجتماعيًا وتعمق مفهوم الأخوة بين المؤمنين، وتجعل منهم أمة متضامنة ذات قوة وتأثير وفاعلية إلى الأفضل في حياة المجتمع، والقدوة الحسنة رمزٌ لوحدة الأمة وتماسكها وخاصة أمام التحديات والصعاب.
- تُنمي القدوة الحسنة الفضائل والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد.
- القدوة الحسنة يُبصّر المقتدي بعيوبه ويرشده إلى الأسلوب الأمثل في التخلص منها، من خلال مقارنة أعماله وسلوكه بما عليه القدوة فتتأسى به وتصلح تلك العيوب.
- التربية بالقدوة تنمي محبة الناس لمن يتخذونه قدوة لهم.
- القدوة الحسنة تولد القناعة التامة بما يطرحه على الناس ويدعو إليه من إصلاحات في المجتمع.
- تعمل القدوة الحسنة على سرعة الامتثال والتطبيق لكل ما هو مفيد للمجتمع، بدون حرج ولا ممانعة من المقتدين.
- إن القدوة الحسنة لا يعيش مشغولاً بذاته بل يمد يديه بالخير والعون ويعطي إلى المجتمع ما يزيده أمنًا وسلامًا؛ لأنه يعرف معنى الإنسانية ويدرك مسئوليات الأخوة في المجتمع.

١٧-الصبر

القاعدة السابعة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي الصبر؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الصبر:

قال ابن القيم رحمه الله: الصبر هو "حبس النفس عن التّسخُّط بالمقدور، وحبس اللّسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية".

والصبر على ثلاثة أنواع:

- الصبر على الأقدار المؤلمة بحيث يصبر على مشقتها والآثار المترتبة عليها ويتجنب جميع الأقوال والأفعال التي تسخط الرب.
- الصبر على أداء الطاعة بحيث يحتسب الأجر في فعلها ويصبر على مشقتها ويؤديها على الوجه المشروع ويداوم على فعلها.
- الصبر عن ارتكاب معصية الله بحيث يجاهد هواه والشيطان ويصبر على مشقة ترك المألوف واجتناب الفساد وأهله.

ويمكن التمييز بين الصبر والاحتمال؛ فاحتمال الشيء يفيد كظم الغيظ فيه، والصبر على الشدة يفيد حبس النفس عن المقابلة عليه بالقول والفعل، والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله، وصبرت على خطوب الدهر، أي: حبست النفس عن الجزع عندها. ولا يستعمل الاحتمال في ذلك؛ لأنك لا تغتاظ منه.

أدلة وجوب الصبر:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ٢٠٠).
- (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأمور) (لقمان:١٧).
- (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد:٢٢).
- (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (البقرة:١٥٦).

- (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَـــبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة:٢٤).
- (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) (القصص: ٥٤).
- (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (يوسف:١٨)
- (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) (النحل: ١٢٧).
- (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر:١٠).
- (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر:٧).

ثمار الصبر:

زيادة الإيمان من أهم ثمار الصـــبر؛ فالمؤمن يتقلب في الدنيا بين حالين إما السراء فيشرع له الشكر أو الضراء فيشرع له الصبر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسـلم: (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ، فَكانَ خَيْرًا له) (صحيح مسلم).

وثمة أسباب تعين على تحقيق ثمار الصبر وتقويه:

- التفكر في عظم فضل الصبر وكثرة ثوابه في الآخرة؛ قال تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف:٩٠).
- التفكر في شدة العذاب يوم القيامة لمن فرط في الصبر وأتبع نفسه الشهوات. الصبر عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال في نار جهنم.
- تقوية الحياء من الله فكيف يعصي العبد سيده الذي خلقه وهداه وأكرمه وميزه عن سائر المخلوقات وكيف يستعمل نعم الله التي وهبها الله له في معاصيه.
- الاستعانة بالله على الصبر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن يَتَصبَّرْ يُصبِّرْه اللهُ، ومَن يَستَغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يَستَعفِفْ يُعِفَّه اللهُ، وما أَجِدُ لكم رِزقًا أوسَعَ منَ الصَّبرِ) (تخريج المسند). ومن استعان بالله يسر له الشدائد وهون عليه الأمور وأزال عنه العقبات.
- دعاء الله وسؤاله تيسير الصبر عند نزول البلاء قال تعالى: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الأعراف:١٢٦). أما حال العافية فيدعو بإتمام العافية والستر ودوام النعمة.

- التأمل في صبر الأنبياء والصالحين وأخذ العبرة واستنهاض الهمة قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف:١١١). فيتأمل في صبر النبي أيوب على البلاء، وصبر النبي يوسف عن المعصية، وصبر خاتم النبيين محمد على القيام بالدعوة إلى الله وتحمله المشاق والأذى في سبيل الله.

من ثمار الصبر:

- إذا أحلّت بالعبد شدة وضائقة وتلقاها بالصبر وعدم الجزع توجهت نفسه إلى ربها ملتجئة إليه لائذة به وعائذة، يطلب منه العون والمدد فيزداد قربًا من الله عزّ وجل. فيحس العبد بضعفه وقلة حيلته، ويستشعر عبوديته لربه جلّ وعلا.
- إن الصبر على الابتلاء يكشف حقيقة النفوس الصادقة من الكاذبة، يقول الله تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت:٢-٣)
- سهولة مقاومة العقبات، وتخطي الصعاب التي تعترض مسيرة المؤمن في الحياة، لا سيما العقبات التي تقف في طريقه الدعوي فإنها ذات وطأة قوية وشديدة على نفس المؤمن.
- الصبر يعوّد المؤمن على مقاومة المعاصي والشهوات التي تلاحقه من كل جانب، فلا يتسرع ولا يستكين للمغريات التي يزيّنها الشيطان له من تسهيل السبل والأسباب الداعية لتلك المعاصي والمغريات.
- الصبر يسدل على النفس الراحة والرضى والطمأنينة، حين يكون صاحب البلاء على يقين أن ما أصابه هو بأمر الله تعالى لحكمة هو يعلمها، وما يترتب على ذلك البلاء من فضل وأجر ومثوبة تحفظ له يوم القيامة، وهذا ما عبّر الله تعالى عنه بقوله: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (البقرة:٥٥-٥٦).

١٨-الأمانة

القاعدة الثامنة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي الأمانة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الأمانة:

الأمانة: هي كلّ حقٍّ لزمك حفظه وأداؤه. كما أنها التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرمات مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه. والأمانة أيضا هي كلُّ ما افترض على العباد فهو أمانة، كصلاة وزكاة وصيام، وأداء دين وودائع.

أدلة وجوب الأمانة:

- (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨).
- (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ) (البقرة: ٢٨٣).
- (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) (الأنفال: ٢٧).
- (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: ٨).
- (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب: ٧٢).
- قال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ، فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ) (مسند أحمد).
- قال صلى الله عليه وسلم: (أَدِّ الأمانةَ إلى مَنِ ائتمنك؛ ولا تَخُنْ مَن خانك) (سنن أبي داود).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) (الجامع الصغير).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(فإذا ضُيِّعت الأمَانَة فانتظر السَّاعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر السَّاعة) (صحيح البخاري).

ثمار الأمانة:

للأمانة أهميةٌ كبيرةٌ في الدِّينُ الإســـلاميّ، تتجلى في علاقتها الوثيقة بجميع الفرائض والأحكام والأخلاق والآداب التي جاء بها الإسلام، كما أنها تُشير إلى تحلي المسلم بأهم خُلُقٍ يحتاج إليه البشر جميعاً في المعاملات الماليّة والشخصيّة فيما بينهم، مما يزيد الثقة بين الناس، ويدعو للأمان والألفة والتماسك بين أفراد المجتمع. وتتحقق ثمار الأمانة في مجالات كثيرة منها:

- الأمانة في العبادة: فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي.
- الأمانة في حفظ الجوارح: فعلى المسلم أن يعلم أن الجوارح والأعضاء كلها أمانات، يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يستعملها فيما يغضب الله سبحانه.
- الأمانة في الودائع: ومن الأمانة حفظ الودائع وأدائها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي.
- الأمانة في العمل: ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة، وهكذا يؤدي كل امرئٍ واجبه بجد واجتهاد.
- الأمانة في البيع والشراء: المسلم لا يغِشُّ أحدًا، ولا يغدر به ولا يخونه.
- المسئولية أمانة: كل إنسان مسئول عن شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكمًا أم والدًا أم ابنًا، وسواء أكان رجلا أم امرأة فهو راعٍ ومسئول عن رعيته.
- الأمانة في حفظ الأسرار: فالمسلم يحفظ سر أخيه ولا يخونه ولا يفشي أسراره.
- الأمانة في الكلام: ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها.
- الأمَانَة في المعارف والعلوم: بتأديتها دون تحريف أو تغيير، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وعدم انتحال الإنسان ما لغيره منها.
- الأمَانَة في النُّصح والمشورة: فإبداء الرأي الصحيح أمانة، وإبداء الرأي غير الصحيح عمدا خيانة.

١٩-التواضع

القاعدة التاسعة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي التواضع؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم التواضع:

التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب، وقيل: أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً. وقيل: يخضع الإنسان للحق، وينقاد له، ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله. وقيل التواضع هو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته. والتواضع وسطٌ بين الكِبْر والضِّعَة، فالضِّعَة: وضع الإنسان نفسه مكانًا يزري به بتضييع حقِّه. والكِبْر: رفع نفسه فوق قدره.

والتواضع نوعان: تواضع مع الله تعالى، وتواضع مع الناس. فتواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله. والتواضع مع الناس يكون محمودا عند ترك التطاولِ على عباد الله والازدراء بهم. ويكون مذموما إذا كان التواضع لذي الدنيا؛ رغبةً في دنياه.

أدلة وجوب التواضع:

- (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (الفرقان: ٦٣).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة: ٥٤).
- (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٤).
- (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء: ٢١٥).
- (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان: ١٨).
- (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ

سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ) (الأعراف: ١٤٦).

- (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩).
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ أوحى إلَيَّ أنْ تواضَعوا حتَّى لا يَبغِيَ أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يفخَرَ أحَدٌ على أحَدٍ.) (صحيح مسلم).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ، إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (صحيح مسلم).
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ترك اللِّباسَ تواضُعًا للهِ وهو يقدِرُ عليه دعاه اللهُ يوم القيامةِ على رءوسِ الخلائقِ حتَّى يخيِّرَه من أيِّ حُلَلِ الإيمانِ شاء يلبَسُها) (صحيح الترمذي).

ثمار التواضع:

تتحقق ثمار التواضع بالتمسك بالأمور التي تعين على التواضع، ومنها:

- اتهام النفس والاجتهاد في علاج عيوبها.
- مداومة استحضار المسلم للدار الآخرة أمام عينيه، واحتقار الدنيا، والحرص على الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- التواضع للمسلمين والوفاء بحقوقهم، ولين الجانب لهم، واحتمال الأذى منهم والصبر عليهم.
- معرفة الإنسان قدر نفسه بين أهله وأصحابه إذا قورن بهم.
- غلبة الخوف في قلب المؤمن على الرجاء، واليقين بما سيكون عند لقاء الله تعالى يوم القيامة.
- الانقياد التام لما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة.
- تفقد الفقراء، ومواساتهم بالمال والتواضع لهم.

من ثمار التواضع:

- حسن استقبال الناس، والتبسم في وجوههم، والتعامل معهم باحترام.
- التعامل بمودة، وعطف مع من هم أقل منه في المنزلة أو المكانة.

- التحدث بصوت معتدل، والابتعاد عن التحدث بصوت مرتفع حتى وإن كان غاضباً.
- مجالسة الفقراء، وتناول الطعام معهم دون أن يحتقرهم أو يقلل من مكانتهم.
- البعد عن الإسراف، والبذخ من أجل اقناع من حوله أنه شخصاً غنياً.
- إلقاء السلام على كافة الأشخاص الذين يقابلهم في طريقه سواء إن كان حارس المنزل أو غير ذلك من الأشخاص.
- السير بطريقة معتدلة دون أن يقوم بإبداء الفخر، والعظمة.
- الاستماع إلى آراء من حوله، وتقديرها حتى وإن كانت غير صائبة، وكذلك عدم انتقاد عيوب الآخرين، وعدم القيام بإظهار محاسنه.

٢٠-الصدق

القاعدة العاشرة من القواعد الآمرة لسلوك الفرد هي الصدق؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الصدق:

الصدق هو موافقة الخبر للواقع، وهو نقيض الكذب. وقد يختلف الخبر عن الواقع ولا يعتبر كذب؛ إذا تحدث الشخص بما يعتقد وتبيّن أن ما يعتقده مخالفا للواقع.

والفرق بين الصَّادق والصِّدِّيق: أن الصادق في قوله بلسانه، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله، لا يختلف سره وجهره، فصار كلُّ صِدِّيق صادقًا، وليس كل صادق صِدِّيقًا.

والصدق من الأخلاق التي أجمعت الأممُ على مر العصور والأزمان، وفي كل مكان، وفي كل الأديان، على الإشادة به، وعلى اعتباره فضيلة.

والصدق مطلب أساس في حياة المؤمن، وهو رأس الفضائل، وعنوان الصلاح والفضل. أثنى الله تعالى على مَن لزمه فصار له خُلقًا؛ كما أن الصدق من صفات الله تعالى، وصفات الأنبياء والرسل.

ويتداخل مفهوم الصدق مع مفهوم الوفاء؛ فالوفاء قد يكون بالفعل دون القول، ولا يكون الصدق إلا في القول؛ لأنه نوع من أنواع الخبر، والخبر قول.

أدلة وجوب الصدق:

- (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (الحديد: ١٩).
- (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ) (آل عمران:٩٥).
- (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) (النساء:٨٧).
- (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)، (النساء: ١٢٢).
- (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (يسن: ٥٢).
- (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (مريم: ٤١).

- على لسان إبراهيم :(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء: ٨٣، ٨٤).
- (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ) (يوسف: ٤٦).
- (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) (مريم: ٤٩، ٥٠).
- (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) (مريم: ٥٤).
- (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) (مريم: ٥٦).
- (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (المائدة: ١١٩).

ثمار الصدق:

قال ابن القيم -رحمه الله - في الصدق إنه: "منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميَّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تردَّ صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحكُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة، التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين، وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان: أن يكونوا مع الصادقين، وخصَّ المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩).

ونوضح فيما يأتي المجالات المتعددة لجني ثمار الصدق:

- الصدق مع الله: (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) (محمد: ٢١)، (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)) (الأحزاب: ٢٣).
- الصدق في النيات: وهذا يستلزم أن تكون بواعث الأعمال والأقوال كلها لله عز وجل، وأن يكون ظاهر العبد معبرا عن باطنه. (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (البينة: ٥).
- الصدق في الأقوال: الصدق في القول يستوجب على المسلم أن يحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بصدق ولا ينطق إلا بحق، فأحسن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفع به سامعه. قال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (صحيح البخاري)، وقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا) (الأحزاب:٧٠)، وقال تعالى :(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعام:١٥٢)، وقال تعالى :(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا) (الإسراء:٣٦).
- الصدق في الأعمال: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢، ٣).
- استواء السريرة والعلانية في الحق: قال تعالى:(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) (الفتح:١١)، وقال سبحانه: (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (آل عمران: ١٦٧).
- الإتقان في كل عمل صالح يقوم به المسلم، بأداء الأعمال والحقوق كاملة مُوَفَّرة، فلا بخس ولا غش ولا خداع ولا ظلم. قال النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) (صحيح الجامع).
- الصدق مع الخلق: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ؛ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ، يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ) (صحيح ابن ماجه).

المجموعة الثالثة: القواعد الناهية عن سلوك الفرد

تتضمن هذه المجموعة القواعد التي تنهى عن الآفات السلوكية، وبصفة خاصة في مكان العمل، غير أن الالتزام بهذه القواعد لا يحدث إلا بعد الالتزام بالقواعد الواردة في المجموعتين السابقتين. وتتكون المجموعة من عشرة قواعد؛ نبيّن في كل منها ثلاثة أمور: مفهوم القاعدة، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

والقواعد العشرة الناهية عن سلوك الفرد هي:

٢١-الكذب
٢٢-النفاق
٢٣-الرياء
٢٤-السرقة
٢٥-الرشوة
٢٦-الغش
٢٧-الإسراف والتبذير
٢٨-الحسد
٢٩-الكسب الخبيث
٣٠-تزكية النفس

٢١-الكذب

القاعدة الأولى من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الكذب؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الكذب:

الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أو سهوا أو جهلا، ولكن لا إثم في السهو أو الجهل، وإنما الإثم في العمد.

وكما يكون الكذب في الأقوال، فيكون أيضًا في الأفعال، فقد يفعل الإنسان فعلاً يُوهمُ به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطرًا وأقوى تأثيرًا من الكذب في الأقوال، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصة يوسف عليه السلام :(يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) (يوسف: ١٧)، وجاؤوا على قميص يوسف بدم كذب، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل.

ويأتي الكذب في أشكال مختلفة؛ فالمنافق كاذب لأن لسانه ينطق بغير ما في قلبه، والمتكبر كاذب لأنه يدعي لنفسه منزلة غير منزلته، والفاسق كاذب لأنه كذب في دعوى الإيمان ونقض ما عاهد الله عليه، والنمام كاذب لأنه لم يتق الله في فتنته فيتحرى الصدق في نميمته، والمتملق كاذب لأن ظاهره ينفعك وباطنه يضرك. والافتراء كذب في حق الغير بما لا يرتضيه. والبهتان كذب يبهت سامعه. والافك هو كذب وافتراء وبهتان.

أدلة ذم الكذب والنهي عنه:

- (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (النحل: ١٠٥).
- (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) (الجاثية: ٧).
- (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).
- (لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُون) (النور: ١٣)
- (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة:١٠).

- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (غافر:٤٠).
- قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: (آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خان) (صحيح الترمذي).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ) (صحيح مسلم).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمَأنينةٌ، والكَذِبَ رِيبةٌ) (سنن الترمذي).

آثار الكذب:

يؤدي الكذب إلى انعدام الأمن والطمأنينة في المجتمع، فإنّ الصدق طمأنينةٌ، والكذب ريبةٌ وترقّبٌ وشكٌ واضطرابٌ، وخوفٌ من انكشاف الحقيقة التي سعى الكاذب إلى إخفائها. وهناك علامات تظهر على الكاذب:

- زيغ البصر: يتعمد الكاذب دائماً ازاغة بصره أثناء الحديث.
- استخدام كلمات قليلة: يستخدم الكاذب أقل عدد ممكن من الكلمات وهو في الحقيقة يفكر فيما يقول من أكاذيب وهناك أيضاً كاذبون ينهجون العكس ليربكوا المستمع ويثبتوا أنهم صادقين.
- التكلف العصبي: يميل الكذاب إلى تكلف منظر الجاد لاسيما في وجهه، إلا أنه يكشف نفسه ببعض الحركات اللاإرادية كمسح النظارة ولمس الوجه...إلخ.
- التكرار: الكذاب يميل عادةً إلى استخدام نفس الكلمات مرات متتالية وكذلك نفس المبررات.
- التعميم: يحاول الكاذب تجنب مسؤولية أفعاله، باستخدام أسلوب التعميم كأن يسأل المدير الموظف عن سبب التأخر فيرد الموظف (كل الموظفين يتأخرون، حركة المرور سيئة).
- تجنب الإشارة إلى الذات: يتجنب الكذاب عادةً استخدام كلمة (أنا) ويقول بدلاً منها (نحن، الناس، معظم).
- إطلاق كلمات الاستخفاف بالأخرين: يميل الكذاب إلى أن ينسب للآخرين تصرفات وأقوال رديئة خصوصاً رذيلة الكذب التي هو مصاب بها كما أنه سريع النسيان وقد يفضح نفسه بنفسه من كثرة مواقف الكذب.

٢٢-النفاق

القاعدة الثانية من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي النفاق؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم النفاق:

النفاق هو القول باللســـان أو الفعل بخلاف ما في القلب من الاعتقاد؛ فهو مخالفة القول لما في القلب، ومخالفة الفعل للقول. أو هو ستر الكفر وإظهار الإيمان. فالمنافق لابد وأن تختلف ســـريرته وعلانيته، وظاهره وباطنه. والنفاق أَمْرٌ خَفِيٌّ عَلَى النَّاسِ، وَكَثِيرًا مَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ؛ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُصْلِحٌ وَهُوَ مُفْسِدٌ.

النفاق أخطر مرَض يُبتلى به القلب، يجعل القلْبَ أسوداً مظلمًا، لا يُحِلُّ حلالاً، ولا يحرِّم حرامًا، الدنيا همُّه، والمال غايتُه، يبذل المنافِق قصارى جهده لتحصيل ما يفنى.

وينبغي التفرقة بين النفاق الأكبر، والنفاق الأصغر.

النفاق الأكبر: النفاق المخرج من الملة، والموجب للخلود في الدرك الأسفل من النار: هو إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، ويترتب على هذا النوع ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنم.

النفاق الأصغر: نفاق غير مخرج من الملة: هو النفاق العملي، واختلاف السر والعلانية في الواجبات، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب وصاحبه لا يخرج من الملة، ولا يُنفى عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرّض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار. وهذا النوع من النفاق مقدمة وطريق للنفاق الأكبر؛ لمن سلكه. وكان ديدنه.

أدلة النهي عن النفاق:

- (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (المنافقون:١).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة: ٨ – ٩).

- (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (البقرة: ١٤).
- (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (المنافقون: ٢).
- (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ) (التوبة: ٥٠).
- (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (التوبة: ٦٧).
- قال صلى الله عليه وسلم: (أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (صحيح البخاري).
- قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (وتجِدونَ مِن شرِّ النَّاسِ ذا الوجهَيْنِ الَّذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ) (صحيح مسلم).
- وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: (تِلْكَ صَلَاةُ المُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حتَّى إذَا كَانَتْ بيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إلَّا قَلِيلًا) (صحيح مسلم).

آثار النفاق:

النهي عن النفاق يحمي المجتمع من أضرار كثيرة منها:

- يرتبط النفاق بالأنماط السلوكية المذمومة مثل الكذب والخيانة والغدر، والتي تعمل على انهيار المجتمعات وسقوطها.
- يعكس النفاق الجانب الابتزازي والانتهازي في التعامل مع الآخرين.
- يؤدي النفاق إلى تفشي المشكلات الاجتماعية.
- يؤدي النفاق إلى حدوث الفتنة بين أفراد المجتمع.
- يحد النفاق من تقدم الأمم وتطورها، وخاصة إذا تسلم المنافقين مناصب حساسة في مجتمعاتهم.
- يولد النفاق ظواهر غير مقبولة ومنها: الشك بالآخرين وسوء الظن.

بعض الأقوال المأثورة عن النفاق:

- لا تبالغ في المجاملة حتى لا تسقط في بئر النفاق.
- من عمل ما ليس من طبعه ولو كان صواباً، تعرض لخطرين، خطر النفاق وخطر الإخفاق.
- فساد العلماء من الغفلة، وفساد الأمراء من الظلم، وفساد الفقراء من النفاق.
- المنافق هو من يمتاز بحلو وعذب الكلام ليقنعك بأنه صادق، وقادر على القيام بأي شيء تطلبه منه.
- النفـاق الاجتمـاعي فـي زماننـا هـو التلـون فـي العلاقـات، وعـدم الوضـوح فـي المواقـف والمبـادئ والأحاديـث لغـرض الإفسـاد أو الانتفاع الشخصي.
- أنا منافق إذا أنا موجود، هذا حالهم اليوم وغداً وربما بعد الغد، ولكن مهما ارتفعوا للقمة سيبقون في ظلمات الأنفاق، سيظلون تحت الأرض كالأفاعي تستبيح النور فقط لمداهمة فريستها.
- المنافق قوله جميل وفعله الدّاء الدّخيل.
- أظهر النّاس نفاقاً من أمر بالطّاعة ولم يعمل بها، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها.
- إن المؤمن يقول قليلاً، ويعمل كثيراً، وإن المنافق يقول كثيراً، ويعمل قليلاً.
- في المجتمع المسلم مرض النفاق، وهو داء خبيث يسري على الألسن فيهدم الأُسر، ويفرق الأحبة، ويُقطع الأرحام.
- المنافق ليس له شخصية ثابتة وليست له مبادئ أو قيم، مهزوم من الداخل، نشأ على الكذب والخداع والمراوغة كاذب اللهجة، متأرجح يتمايل على حسب المصالح التافهة.
- إن شر النفاق ما داخلته أسباب الفضيلة، وشر المنافقين قومٌ لم يستطيعوا أن يكونوا فضلاء بالحق؛ فصاروا فضلاء بشيء جعلوه يشبه الحق.
- ذو الوجهين منافق في العلاقات الاجتماعية كاذب ومخادع في علاقاته ومبادئه متلون في مواقفه ومشاعره.

٢٣-الرياء

القاعدة الثالثة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الرياء؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الرياء:

أصْل الرياء هو طلب المنزِلة في قلوب الناس بإبداء خِصالَ الخير لهم، فيظهر عادة العبادة؛ بقصْد رؤية الناس لها، فيحمدوا صاحبَها. فالرياء هو ابتغاءُ العاجِل الفاني الدُّنيوي ممَّا عند الناس، وإيثاره على الدائم الأُخروي، ممَّا عند الله تبارك وتعالى.

الرِّياء من الشرْك بالله: وهو الرِّياء بالأعمال؛ ووجْه كونه من الشِّرْك ما ثبَت من الأدلَّة في الكتاب والسُّنة على ذلك.

أدلة النهي عن الرياء:

- (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠).
- (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (الفرقان: ٢٣)؛ أي: الأعمال التي قُصِد بها غير الله تعالى بطَل ثوابُها، وصارتْ كالهباء المنثور.
- (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (الماعون: ٤ -٧).
- (وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا) (النساء: ٣٨).
- وقال الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يَرويه عن ربه: (قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ.) (صحيح مسلم).

آثار الرياء:

نبيّن آثار الرياء من خلال عرض أقسامه، وبيان بعض أسبابه، وكيفية علاجه.

أقسام الرياء:

- ألاَّ يكون مرادُ العبد الثوابَ أصلاً، كالذي يُصلِّي بين الناس ولو انفرد لم يُصلِّ.

- أن يُريد الرِّياء، ثم يقصد الثواب قصدًا ضعيفًا، ويكون الرياء هو الأصْل، فهذا قريبٌ من القسم الأول، وكلاهما ممقوتان عندَ الله.
- أن يكونَ قصْد الرياء والثواب متساويين، فيكون الفسادُ على قدْر الصلاح، ولا يَسْلم مِن الإثم.
- أن يكون الرِّياء مقوِّيًا لنشاطه في العبادة، فهذا يُثاب على القصْد الصحيح، ويُعاقب على قصْده الفاسِد.
- أن يكون في أوْصاف العبادة لا بأصْلها، كأنْ يرائي الناس في تطويل الرُّكوع والسُّجود، ويُحسن أكثرَ فيهما إذا رأى الناس.

بعض أسباب الرياء: تتعدَّد بواعثُ الرياء، وتختلِف أسبابُه مِن إنسانٍ لآخر على حسب قصد الإنسان ومراده مِن غير الله سبحانه، وهي كثيرةٌ، ومنها:

- الجهلُ بحقيقةِ الرياء ومآلاته، وبالإخْلاص ومآلاته.
- حب الجاه: وهو ارْتفاع المنزِلة في قلوب الناس.
- الطَّمَع في شهوات الدنيا، مِن مال، أو منصب أو جاه.
- الفِرار مِن ذمِّ البخل، أو ذمِّ الجبن وعدم الشجاعة، أو ذمِّ الجهْل وغير ذلك.
- لذَّة الحمْد والثناء للفرارٌ مِن ألَم الذم والخوف منه، وهو شعورٌ بالكمال وعدم النقص.

علاج الرياء: قد تضمن القرآن الكريم علاج القلْب مِن جميع أمراضه، وجاءتْ به السُّنة المطهَّرة، فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ٥٧)، وقال سبحانه: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا) (الإسراء: ٨٢). ومن طرق العلاج:

- الاتِّصال بالله والاستعانة به سبحانه.
- المجاهدة الدائمة للنفس.
- الحِرْص على كِتْمان العمل وإخفائه.
- النظر في عواقب الرياء الدنيوية والأُخروية.
- الابتعاد عن مواطِن الرياء ومواقِعه.
- استحضار مراقبةِ الله تعالى للعَبْد.

٢٤-السرقة

القاعدة الرابعة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي السرقة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، أدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم السرقة:

السرقة هي الاستحواذ على ما يملكه الآخرون دون وجه حق، وهي عادة يكتسبها الأفراد، أي أنها ليست وراثية أو فطرية، وهي في الوقت نفسه ليست حدثا قائما بذاته، وإنما هي سلوك يعبر عن حاجات نفسية معينة.

هناك أنواع عديدة للسرقة منها:

- السرقة المباشرة بأخذ ممتلكات الغير.
- انتحال شخصية شخص آخر باستخدام اسمه، أو حسابه البنكي، أو بطاقته الائتمانية.
- السطو: ويتم السطو عادةً باستخدام التخويف والتهديد والعنف للحصول على أشياء وممتلكات الآخرين.
- الاحتيال: يعتبر الاحتيال نوعاً من السرقة التي تحدث عندما يتم خداع شخص ما ليتخلى عما يملكه برضاه ودون إجباره على التخلي عن هذا الشيء، تحت ذرائع كاذبة.

أدلة تحريم السرقة:

- (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة:٣٨).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) (النساء: ٢٩).
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ) (صحيح البخاري).
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على من أراد الدخول في الإسلام على أمور عظيمة منها تجنب العدوان على أموال الناس بالسرقة؛ فقال: (بايِعوني ألَّا تُشرِكوا باللهِ شيئًا، ولا تَسرِقوا، ولا تَزنوا، ولا تَقتُلوا أولادَكم، ولا تَأْتوا ببُهْتانٍ تَفتَرونَه بيْنَ أيْديكم وأرجُلِكم، ولا تَعصوني في مَعروفٍ، فمَن وَفَّى منكم فأجْرُه على اللهِ، ومَن أصابَ

من ذلك فعُوقِبَ به فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصابَ من ذلك شيئًا فستَرَه اللهُ فأمْرُه إلى اللهِ؛ إنْ شاء عاقَبَه، وإنْ شاء عَفا عنه.) (صحيح البخاري).

- أخبر صلى الله عليه وسلم أن المؤمن الصادق القوي في إيمانه لا يجرؤ على السرقة فقال: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إلَيْهِ فيها أبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ) (صحيح البخاري).

آثار السرقة:

أراد الله لمجتمعات المسلمين أن تحيا حياة الأمن والأمان، يأمن كل من يعيش في هذه المجتمعات على نفسه وعرضه وماله، ولأجل هذا الغرض حرَّم الشرع المطهر الاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال، بل جعلها من الضرورات الخمس التي أتى الإسلام بحفظها وهي: الدين، والعقل، والأنفس، والنسل، والأموال.

إن السرقة آفة من الآفات التي تعرِّض أمن الأفراد والمجتمعات للخطر، ولهذا جاءت أدلة الشرع تحذر المسلم من السرقة وتزجر من تسول له نفسه سرقة أموال الآخرين. فإن لم تُجْدِ هذه الزواجر نفعًا وتجرأ أصحاب النفوس الضعيفة على سرقة أموال الناس ورُفع أمرهم إلى القضاء وثبتت التهمة بضوابطها المعروفة شرعًا؛ فحينئذ تقطع هذه اليد الآثمة زجرًا لصاحبها، وحفظًا لأموال الناس وأمنهم. وحين كان هذا الحد مطبقًا في ديار الإسلام كان الناس آمنين على أموالهم حتى إن أصحاب التجارات والمحلات كانوا يذهبون لأداء الصلوات وأبواب محالهم مفتحة لا يخافون عدوان المعتدين. وهذا الحد الشرعي حين يقام على من يستحقه يؤدي إلى شيوع الأمن وزجر ضعاف النفوس، كما أنه يكفر عن صاحبه ذنبه ويكون توبة له.

٢٥-الرشوة

القاعدة الخامسة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الرشوة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الرشوة:

الرشوة هي كل ما يتمُّ إعطائه لإبطال حق، أو لإحقاق باطل. وقد قيل في تعريف الرشوة أيضًا أنها: دفعُ مالٍ ونحوه إلى شخص آخر لقضاءِ حاجة لا يمكن الوصول إليها بالنسبة لدافعِ المال إلا بالرشوة، سواء كانت هذه الحاجة موصلة إلى حق أو إلى باطل.

والمرتشي وهو من تُقدَّمُ إليه الرشوة، والراشي من يُقدِّمُ الرشوة للمرتشي. وقد يصل الأمر إلى المرتشي ليُعلن عن الرشوة ويُصرح بها ويُجادل في مقدارها بلا خجلٍ ولا حياء، فيؤدي ذلك إلى ضياع الحقوق والكرامة وانخفاض الجد في العمل ليحِلَّ محلُّها الرشوة.

الرشوة كبيرة من الكبائر، ويقع إثمها على الراشي والمرتشي معًا. أما إذا كان دفع الرشوة بهدف رفع الظلم عن شخص في دينه أو دُنياه، أو رد حقٍ لم يستطع الوصول إليه إلا بالرشوة، فهنا تخرج هذه الحالة من مفهوم تعريف الرشوة وتجوزُ شرعًا، ويكون الإثم فيها على المرتشي من غير الراشي؛ بشرطين: تيقن الراشي من استحالة نيل حقوقه إلا بها (وتكون بقدر الضرورة فقط)، وألا يستحل ذلك، بل يستنكره في نفسه على الأقل.

أدلة تحريم الشروة:

- (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (المائدة:٦٢). وهناك تفسير للسحت بأنه الرشوة.
- (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة:١٨٨).
- قال تعالى على لسان بلقيس: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ، فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) (النمل: ٣٥-٣٦).
- لعن رسولُ اللهِ الرَّاشي، والمرتشي، والرَّائشَ. يعني الذي يمشي بينهما. (ضعيف الترغيب)

- قال صلى الله عليه وسلم: (مَنِ استَعمَلناه على عَمَلٍ فرَزَقْناه رِزقًا، فما أخَذَ بعدَ ذلكَ فهو غُلولٌ) (صحيح أبي داود).
- قال صلى الله عليه وسلم: (إن اللهَ تجاوز عن أمتي ثلاثةً: الخطأَ والنسيانَ وما استُكرهوا عليه) (صحيح ابن حبان).

آثار الرشوة:

الحُكم الشرعي للرشوة مأخوذٌ من تعريف الرشوة بحيث أن كل ما يجعل الباطل حقًا أو يجعل الحق باطلًا فهو حرام، فالرشوة حرام بكل صورها بإجماع كل علماء أهل السنة والجماعة سواءٌ كانوا متقدمين أو معاصرين.

الرشوة من أخطر الظواهر التي قد تفَشَّت في المجتمعات، وما تفشَّت هذه الظاهرة في مجتمع إلا وتلاشت أركانُه وهبطت مستوى أخلاقياته وضاع الحق فيها. ونتبيّن آثار الرشوة من خلال عرض بعض أسبابها، وأنوعها، وطرق علاجها.

للرشوة أسباب عديدة منها:

- ضعف الوازع الديني.
- الطمع وعدم وجود القناعة.
- الأنانية وضعف الشعور الاجتماعي.
- انخفاض مستوى المعيشة.

وللرشوة أنواع عديدة؛ منها:

- قضاء حوائج المسؤول لكي يتم التغاضي عن أخطاء في العمل.
- دفع قسم من المال للمسؤول لكي يوظف بعض الأفراد.
- دفع المال أو تقديم الهدايا من أجل تزوير الشهادات أو إعطاء الطلاب أسئلة الامتحانات أو مخالفة أنظمة قانونية.

ومن طرق علاجها:

- نشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع.
- الاهتمام بتعيين الموظف المناسب في المكان المناسب.
- العمل على تحقيق التوازن الاقتصادي وعدالة توزيع الثروات بين أفراد المجتمع.
- توقيع العقوبات الرادعة على الراشي والمرتشي والرائش.

٢٦ـالغش

القاعدة السادسة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الغش؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الغش:

الغِشُّ هو إخفاء كل ما يكرهه المشتري. ويكون الغشُّ عادة بخلط الرَّديء بالجيِّد. ومن معاني الغش أيضا الغِلُّ والحقد.

الغش أحد الظواهر المُنحرِفة، والتي تظهر في المُجتمَع، وهو خروج عن قِيَم ومعايير الشرع؛ ممّا يترك أثراً سلبيّاً على مظاهر الحياة الاجتماعيّة. ومن أبرزها الغش في البيع والشراء وغيرهما من المعاملات المالية.

ومن أنواع الغش ما يأتي:

- بَيعُ المواد مُنتَهية الصلاحيّة.
- التطفيف في الكيل والميزان، مثل كتابة وَزنٍ غير حقيقيٍّ على العبوة.
- بَيعُ البضاعة السيئة على أنَّها جيِّدة، أو وَضعُ علامات تجاريّة مشهورة على البضاعة الرديئة.
- الغِشّ في أعمال البناء والمُقاوَلات، مثل التقليل من استخدام الإسمنت والحديد عند البناء؛ مما يتسبَّب في انهيار المباني، وإصابة السكّان بالأذى.
- غش الرَّاعي للرَّعيَّة، وغش الرَّعيَّة للرَّاعي.
- الغش في القول: وذلك عند إدلاء الشاهد بالشهادة، فيشهد بشهادة فيها زور وبهتان وكذب، ونحو ذلك.
- الغش في النصيحة: ويكون الغش في النصيحة، بعدم الصدق، والإخلاص فيها، وهذا من علامات المنافقين.
- الغش في تعلُّم العلم: كأن يغش في الامتحانات ويحصل على شهادة لا يستحقها، وقد يتبوأ بها منصبًا، وهو ليس أهلًا لذلك المنصب، وبهذا الغش يخرج جيل جاهل، غير مؤهل لقيادة الأمة.
- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الإنكار على الأصحاب والأقارب محاباة لهم ومداهنة. فحق هؤلاء على المسلم أن ينصحهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فإن لم يفعل فقد غشهم.

أدلة تحريم الغش:

- (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) (الرحمن: ٩).
- (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (المطففين: ١ -٦).
- (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: ١٠). الغِل: الغش الحسد والبغضاء.
- (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) (النحل: ٩٢). دَخَلًا؛ أي: غشًّا وخيانةً.
- (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) (الأعراف:٤٣).
- مَرّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى صُبْرَةِ طَعامٍ فأدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا فقالَ: (ما هذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟ قالَ أصابَتْهُ السَّماءُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النَّاسُ، مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي) (صحيح مسلم).
- قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (ما مِن عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَومَ يَمُوتُ وهو غاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عليه الجَنَّةَ) (صحيح مسلم).

آثار الغش:

الغش من أعظم الآفات التي تصاب بها الأمم فتقوض دعائمها وتهدم بنيانها وتزرع الضغائن بين أبنائها وتؤخرها عن ركب الحضارة. ولذا وجب القضاء على أسباب الغش ومنها:

- عدم الإخلاص لله تعالى في العمل.
- الحرص على جمع الأموال من أي طريق كان.
- عدم تطبيق الأحكام لمعاقبة مرتكبي جريمة الغش.
- مرافقة أصدقاء السَّوء.
- التربية غير السليمة، التي تتنافى مع الأخلاق والآداب الإسلامية.
- عدم الرضا برزق الله تعالى.
- عدم تذكُّر الموت والدار الآخرة.

٢٧-الإسراف والتبذير

القاعدة السابعة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الإسراف والتبذير؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الإسراف والتبذير:

الإســـراف هو مجـاوزة حـدِّ الاعتـدال في الأفعـال والأقوال، والأموال، والمرغوبات والمحبوبات. أمَّا التبذير فهو إنفاق المال في غير حقِّه.

ويظهر الفرق بين الإسراف والتبذير فيما يـأتي:

- الإسراف: صَرف فيما ينبغي، زائد على ما ينبغي، والتبذير :صرف الشيء فيما لا ينبغي.
- والإسراف :تجاوز في الكميَّة؛ فهو جهل بمقادير الحقوق، والتبذير : تجاوز في موضع الحقّ؛ فهو جهل بموضعه.

وينبغي التمييز بين الإسراف والجود: فالجواد حكيم يضع العطاء في مواضعه، والمسرف مبذر، قد يصادف عطاءه موضعه، وكثيرا لا يصادفه.

أدلة ذم الإسراف والتبذير والنهي عنهما:

- (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا) (النساء: ٦).
- (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَـــادِهِ وَلاَ تُسْـــرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْـــرِفِينَ) (الأنعام: ١٤١).
- (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١).
- (وَالَّـذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْـــرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَـانَ بَيْنَ ذَلِـكَ قَوَامًـا) (الفرقان: ٦٧).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا ما لم يخالِطْهُ إسرافٌ أو مَخيَلَةٌ) (صحيح ابن ماجه).

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ) (صحيح مسلم).

آثار الإسراف والتبذير:

الإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمَّات كثيرة، وينتقل من ملذَّة إلى ملذَّة فلا يقف عند حدٍّ. ولا شكَّ أنَّ الإسراف تتعدَّد صوره ومظاهره، وهو يقع في أمور كثيرة كالمأكل، والمشرب، والملبس، والمركب، والمسكن، وغيرها. وقد يكون الإسراف على النفس بالمعاصي والآثام؛ قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) (الزمر: ٥٣).

بعض آثار الإسراف والتبذير:

- عدم محبة الله للمسرفين: قال تعالى: (إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأنعام: ١٤١).
- يفضي إلى طلب المال بالكسب الحرام: لأنَّ المسرف ربما ضاقت به المعيشة، نتيجة لإسرافه؛ فيلجأ إلى الكسب الحرام.
- الإسراف في الأكل يضرُّ بالبدن.
- الإسراف والتبذير من صفات إخوان الشياطين: قال تعالى: (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الإسراء: ٢٦-٢٧).
- التعرض للمساءلة والحساب عن مصارف ماله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ) (صحيح الترمذي).
- الانهيار في ساعات المحن، نتيجة لعدم أخذ المسرف بالشدة والحزم، فإن صادفته شدة انهار، ولذلك تعود جيوش العالم قديماً وحديثاً أبناءها على حياة التقشف والشدة وتحمل المشاق والصعاب.

- يثير الإسراف أحقاد الفقراء والمحتاجين، ولعل هذا السبب في أن المأكل والمشرب محرمان في آنية الذهب والفضة، كما حرم الحرير على الرجال.

علاج ظاهرة الإسراف:

- قال ابن القيم: " العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيرًا؛ اجتهد في كسبٍ وصناعةٍ تكفُّه عن الذُّل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم. وإن كان غنيًّا، فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذُّل للخلق، ومن البلية أن يبذر في النفقة، ويباهي بها ليكمد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر-لإصابته بالعين...وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه، وإنما التدبير حفظ المال، والتوسط في الإنفاق".
- التفكير والتأمل في النتائج الوخيمة على البدن والنفس والقلب والمال، وعلى الأفراد والمجتمعات جراء الإسراف.
- مجاهدة النفس لترويضها على الاعتدال وعدم الإسراف، وأخذها بالشدة عن طريق امتثال أوامر الشرع وعدم التهاون فيها مثل الإكثار من الفرائض والنوافل.
- التأمُّل في سيرة النَّبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، والتابعين، في وسطيَّتهم وتعاملهم مع الحياة.
- الابتعاد عن الوسَط المسرف على نَفسه من المترفين والعصاة، والاقتراب من المنكسِرة قلوبُهم لربِّهم، المعتدلين في معاشهم.
- اهتمام الفرد ببناء شخصية أفراد أسرته، زوجته وأولاده، وتعويدهم الحياة الإسلامية الصحيحة قواماً واعتدالاً.
- العمل على نشر القيم والفضائل الخلقية التي تقوم سلوك المستهلك وتميزه عن غيره من الأفراد كشخصية مسلمة تردعها قيم وأخلاق وضوابط شرعية عن فعل كل ما يخالف تعاليم الإسلام.

٢٨-الحســـد

القاعدة الثامنة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الحسد؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الحسد:

الحسد هو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يَصِرْ للحاسد مثلها. أو تمني عدم حصول النعمة للغير.

ويختلف الحسد عن الغبطة؛ فالغابط يرى المغبوط في حال حسنة، فيتمنى لنفسه مثل تلك الحال الحسنة، من غير أن يتمنى زوالها عنه، وإذا سأل الله مثلها فقد انتهى إلى ما أمره به ورضيه له، وأما الحسد فهو أن يشتهي الحاسد أن يكون له ما للمحسود، وأن يزول عنه ما هو فيه.

أما العين فهي أن يُصابَ الإنسانُ بنفسٍ خبيثة، تكون مملوءةً حَسَدًا، فعندما يرى العائن شيئًا ما يعجبه، فيخرج من نفسه الخبيثة قوةٌ خفيَّةٌ تُصيب الأمر الذي أعجبه بالعين والأذى كما يُصيب السَّهْمُ الرميَّة. ولعل هذا بسبب عدم ذكر اسم الله عليه.

وقد تكون العين بقصد لكراهية العائن أن يرى نعمة الله على غيره، وقد تكون بغير قصد، مثل العين التي تأتي من أحب الناس، فكثيرًا ما يصيب الأب ابنه بالعين، أو الأخ أخاه، أو غيره من الأشخاص المقربين.

وأصل العين من الحسد، وذكر الحسد في القرآن يشمل الحسد والعين معا؛ فكل عائنٍ هو حاسد، ولكن ليس كل حاسد عائنًا. والعائن أضر من الحاسد، إضافة إلى أنّ الحاسد قد يحسد ما لم يره، وقد يحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه، أما العائن فهو لا يَعين إلا ما يراه والموجود بالفعل أمامه. والعين هي شيء من العالم الغيبي لا يعلمه إلا الله جل جلاله.

نماذج من الحساد:

- حسد إبليس لآدم عليه السلام: (قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (الأعراف: ١٢)
- حسد قابيل لأخيه هابيل: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (المائدة: ٣٠).
- حسد إخوة يوسف: (اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (يوسف: ٩)

- حسد اليهود والنصارى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) (البقرة: ١٠٩).
- حسد كفار قريش: (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف: ٣١).

أدلة النهي عن للحسد:

- (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (سورة الفلق).
- (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) (البقرة: ١٠٩).
- (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) (النساء: ٥٤).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا) (صحيح مسلم).
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ علَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهو يَقْضِي بهَا ويُعَلِّمُهَا) (صحيح البخاري)، والحسد هنا بمعني الغبطة؛ وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها.
- قال صلى الله عليه وسلم: (الْعَيْنُ حَقٌّ، ولو كانَ شيءٌ سابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ) (صحيح مسلم).

آثار الحسد:

نبيّن فيما يأتي أسباب التحاسد، والأسباب المعينة على دفع شره، وبعض آثاره.

من أسباب التحاسد:

- العداوة والبغضاء: وهذا أشد أسباب الحسد، فإنَّ مَن آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرض بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد والعداوة والبغضاء.

- الكبر: من كان في طبعه أن يتكبر، ويستصغر غيره، ويستخدمه، ويتوقَّع منه الانقياد له.
- الخوف من ضياع المقاصد: وذلك للمتزاحمين على مقصود واحد، فيحسد صاحبه في كلِّ نعمة تكون عونًا له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين.
- طلب الجاه: مثل من يريد أن يكون عديم النظير في فنٍّ من الفنون، فيغلب عليه حب الثناء، ويستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر، وفريد العصر في فنه.
- خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى: فإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه؛ يشقُّ ذلك عليه.

الوسائل المعينة على دفع شر الحاسد عن المحسود:

- التعوذ بالله تعالى من شره، واللجوء والتحصن به، والله تعالى سميع لاستعاذته، عليم بما يستعيذ منه، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (سورة الفلق).
- تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه؛ فمن اتَّقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره.
- الصبر على عدوه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدّث نفسه بأذاه أصلًا.
- التوكل على الله: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣).
- فراغ القلب من الاشتغال بالحاسد والفكر فيه، وأن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه والانتقام منه.
- تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإنَّ الله تعالى يقول: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (الشورى: ٣٠).
- الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإنَّ لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفع العين وشرِّ الحاسد.

- إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرًّا وبغيًا وحسدًا، ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شفقة، وهذا من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، قال تعالى: (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت:٣٤).
- تجريد التوحيد والانتقال بالفكر إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأنَّ الحسد لا يضرُّ ولا ينفع إلا بإذنه، فهو الذي يصرفه عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ) (يونس: ١٠٧).

بعض آثار الحسد:

- انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة؛ لبعد الناس عن الحاسد، ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود.
- مقت الناس للحاسد، حتى لا يجد فيهم محبًّا، وعداوتهم له، حتى لا يرى فيهم وليًّا، فيصير بالعداوة مأثورًا، وبالمقت مزجورًا.
- إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلًا، ولا لنعمه من الناس أهلًا.
- يؤدي الحسد إلى المقاطعة، والهجر، والبغضاء، والشحناء.
- يؤدي الحسد إلى الغيبة، والنميمة.
- يؤدي الحسد إلى الظلم، والعدوان.
- قد يؤدي الحسد إلى السرقة، والقتل.

٢٩-الكسب الخبيث

القاعدة التاسعة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي الكسب الخبيث؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة تحريمها، وآثارها.

مفهوم الكسب الخبيث:

للكسب الخبيث موارد متعددة ومتنوعة نجملها في الآتي:

- ما كان بغير مقابل من عمل مثل الربا والقمار واليانصيب وغيرها.
- ما كان بغير حق كالنصب والسرقة والغش والاحتكار ونحوها.
- ما كان عوضا لما يضر كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها.

أمثلة للكسب الخبيث:

- نهب المال العام أو تضييعه باختلاسٍ أو استحقاقٍ بلا عمل ولا جهد لأنه يُعَدُّ في باب الغلول.
- الاحتكار: وهو شراء الشيء وحبسه ليقل بين الناس فيغلو سعره ويصيبهم بسبب ذلك الضرر.
- هدايا العمل.
- أكل مال اليتيم.

قواعد في بيان الكسب الخبيث:

- قاعدة "وسائل الحرام حرام": أي إذا استخدمت وسائل غير مشروعة فما يتحقق عنها من ربح أو غيره يعتبر حرامًا يجب التخلص منه في وجوه الخير وليس بنية التصدق.
- قاعدة "من اختلط ماله الحلال بالحرام": يخرج قدر الحرام والباقي حلال له.
- قاعدة "التصدق بالكسب من وجه حرام محظور": وجوب تطهير المال الحلال من الربح المكتسب من مصدر حرام -مثل فوائد البنوك-ويتم ذلك من خلال التخلص منه في وجوه المنافع العامة وليس بنية التصدق.

أدلة تحريم الكسب الخبيث:

- (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٨٨).

- (يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة: ٢٧٦).
- (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء: ١٠).
- (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (آل عمران: ١٦١).
- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتي يقولُ: هذا لكَ وهذا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ في بَيْتِ أبِيهِ وأُمِّهِ، فَيَنْظُرُ أيُهْدَى له أمْ لا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يَأْتي بشيءٍ إلَّا جَاءَ به يَومَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ علَى رَقَبَتِهِ، إنْ كانَ بَعِيرًا له رُغَاءٌ، أوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إبْطَيْهِ ألا هلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا.") (صحيح البخاري).

آثار الكسب الخبيث:

للكسب الخبيث آثار سيئة كثيرة تستوجب الحرص على تحريمه؛ منها:

- عدم الخوف والحياء من الله: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:(اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (صحيح الترمذي).
- الحرص على المكسب السريع: بعض الناس يستعجلون في قضية الرزق فهم يريدون الحصول على المال من أي جهة وبأي طريق حتى لو كان من حرام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس من عملٍ يُقرِّبُ من الجنَّةِ إلَّا قد أمرتُكم به، ولا عملٌ يُقرِّبُ من النَّارِ إلَّا وقد نهيتُكم عنه، فلا يستبطِئَنَّ أحدٌ منكم رزقَه فإنَّ جبريلَ ألقَى في روعي أنَّ أحدًا منكم لن يخرجَ من الدُّنيا حتَّى يستكملَ رزقَه فاتَّقوا اللهَ أيُّها النَّاسُ وأجمِلوا في الطَّلبِ فإن استبطأ أحدٌ منكم رزقَه فلا يطلُبْه بمعصيةِ اللهِ فإنَّ اللهَ لا يُنالُ فضلُه بمعصيتِه) (صحيح الترغيب).

- الطمع وعدم القناعة: ففي الحرص لا يخلو المرء من تعب، وفي الطمع لا يخلو من ذل، وقديما قيل " أذل الحرص أعناق الرجال". وقيل قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث كثرة الغم والجزع ".
- الجهل بخطورة الكسب الحرام وحكمه: ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرب لبنًا فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ فقال: مررت بإبل الصدقة وهم على ماء فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء.
- ظلمة القلب وكسل الجوارح عن الطاعة: الكسب الحرام له آثار وأضرار وخيمة على صاحبه فهو يؤدي إلى ظلمة القلب وكسل الجوارح عن طاعة الرب، ونزع البركة من الرزق والعمر. قال صلى الله عليه وسلم (إنه لا يربو لحمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ، إلا كانت النارُ أَوْلَى بِهِ) (صحيح الترمذي). وقال ابن عباس رضي الله عنه: "إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق".
- غضب الجبار ودخول النار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيَمِينِهِ، فقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ له النَّارَ، وَحَرَّمَ عليه الجَنَّةَ فَقالَ له رَجُلٌ: وإنْ كانَ شيئًا يَسِيرًا يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: وإنْ قَضِيبًا مِن أَرَاكٍ) (صحيح مسلم).
- عدم قبول الدعاء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: (يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صالِحًا، إنِّي بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (المؤمنون:٥١) وقالَ: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ) (البقرة:١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟) (صحيح مسلم).

٣٠-تزكية النفس

القاعدة العاشرة من القواعد الناهية عن سلوك الفرد هي تزكية النفس؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم تزكية النفس:

تزكية النفس تعني تطهير النفس من الأدران والأوصاف الذميمة؛ وملؤها بالأخلاق الفاضلة وإحلالها محل الأخلاق الرذيلة بعد أن خليت منها. والقيام بالأعمال التي تؤدي إلى تزكية النفس فرض على كل مسلم؛ ولكن الله نهى عن أن ينظر الفرد لنفسه على أنها كاملة فيؤدي ذلك لعدم رؤية عيوب النفس وعلاجها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَن زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا) (صحيح مسلم).

وتكون تزكية الإنسان لنفسه مطلوبة إن كانت بحق، وتتوافر حيثيات إثبات هذا الحق، وكانت هناك حاجة ضرورية لذلك. فنبي الله يوسف عليه السلام: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (يوسف:٥٥). فقدم الحيثية وهي: "إني حفيظ عليم". وكانت هناك حاجة ضرورية لأمانته ولعلمه لإدارة الأزمة التي تمر بها مصر.

الإنسان مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى أيهما أراد، وهذه قدرة كامنة في كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة (ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ،فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس:٧-٨) ويعبر عنها بالهداية تارة (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد:١٠) وإلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان هي التي تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها وتغليبها على استعدادات الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب.

أدلة تزكية النفس

آيات تحض على تزكية النفس:

- (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس: ٩-١٠)
- (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور:٢١).

- (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة: ١٠٣)

آيات تنهى عن تزكية الإنسان لنفسه؛ لأن الله يزكي من يشاء وهو أعلم بمن اتقى:

- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) (النساء:٤٩).
- (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (النجم:٣٢).

آثار تزكية الإنسان لنفسه:

تزكية الإنسان لنفسه قد تؤدي إلى العجب والكبر؛ فالذي ينظر إلى نفسه على أنّها كاملة سيشعر بأنه يستحق التقدير والتعظيم والثناء، ممّا قد يؤدي إلى احتقاره للناس بسبب عدم تقديرهم له، وإن اثنوا على غيره دخل الحسد إلى نفسه للمُثنى عليه.

ولكن هناك أعمال يجب على الإنسان أن يقوم بها لتزكية نفسه منها:

- التوبة: قال تعالى:(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١).
- لزوم الاستغفار والذكر عموماً، لقول الله عز وجل: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف:٣٦)
- توبيخ النفس وتقريعها من أجل حملها على الطاعة: يقول الغزالي رحمه الله: "إن لازمت نفسك بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولاً بوعظ نفسك".
- الإكثار من وعظها وتذكيرها بالموت والدار الآخرة.
- سوء الظن بالنفس والحيلولة بينها وبين الاغترار بالعمل والإدلال به على الله، فإن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش.
- تنقية العمل من حظوظ النفس وشوائب الرياء.

- محاسبة النفس: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر:١٨). وقال صلى الله عليه وسلم: (الكيِّس ُمَن دانَ نفسَه وعمِل لما بعد الموتِ والعاجزُ مَن أتبعَ نفسَه هَواها وتمنَّى على اللهِ الأمانيَّ) (سنن الترمذي).
- التحلي بالصبر واليقين: بالصبر ينتصر على شهوات نفسه فيحجزها عن المحرمات ويحبسها على الطاعات.
- الدعاء: من أسباب تزكية النفس الدعاء، فهو سلاح المؤمن، بأن يلجأ الإنسان إلى الله دائماً أن يقيه شر نفسه وأن يعينه على طاعة الله.

ثانيا: القواعد الأخلاقية لسلوك الجماعة

نادراً ما نجد فرداً يعمل داخل التنظيمات الإدارية بمعزل عن الناس. وغالبا ما يكون العمل الفردي جزءاً من عمل جماعي. وتتألف الجماعة من عدد من العاملين الذين يشتركون في وجهات نظر معينة، أو تجمعهم طبيعة عملهم، أو لهم أهداف مشتركة تربط بينهم.

فالجماعة وحدة اجتماعية مميزة في شكلها، وفي أعضائها، وفي علاقات أعضائها بعضهم ببعض. وتتكون هذه الوحدة الاجتماعية من فردين أو أكثر يقوم بينهم اتصال مناسب. وسلوك الجماعة الكلي ليس هو مجموع سلوك أعضائها، ولكنه شيء أكثر أو أقل من ذلك، فسلوك الفرد في الجماعة يتعدل بسبب قيود العمل الجماعي، كما أن هذا السلوك يوجه بصورة توافق عليها الجماعة. ولذلك يجب أن نفكر في سلوك الجماعة على أنه سلوك وحدة اجتماعية، فيكون مستقلاً إلى حد كبير عن كل عضو من أعضائها.

هناك بعدان أساسيان لسلوك الجماعات، أحدهما الأهداف، والثاني الترابط الاجتماعي. وقضية اندماج الأهداف (أهداف الجماعات والأهداف التنظيمية) لا حل لها سوى التزام أعضاء الجماعات (أفراداً كانوا أم مديرين) بقيم واحدة، تنطلق منها أهداف الجميع فلا تأتي متعارضة. وليس هناك سوى الإسلام نظاماً يوحد هذه القيم ويبثها في نفوس الناس. فالإيمان بالله ورسوله، وما ينتج عنه من التزام بالأخلاق الإسلامية يوجه الأهداف والجهود كلها على اختلاف أنواعها نحو العمل الذي يرضى عنه الله سبحانه، سواء كان عملاً للدنيا أو للآخرة. في هذه الحالة يكون زيادة الترابط الاجتماعي هدفاً في حد ذاته لما لذلك من أثر حميد على تحقيق الأهداف المشتركة للتنظيم وأعضائه. ويحرص الإسلام بما تضمن من قواعد للسلوك الأخلاقي على أن يقوم هذا الترابط الاجتماعي على أسس متينة، تضمن له الاستمرار، ويمكّن الناس من حسن أداء أعمالهم.

الأسرة جماعة من أهمّ وظائفها التربية؛ فإنَّها تحمِلُ على عاتِقِها تكوينَ الإنسان وتأديبه وإكسابه السلوك الأخلاقي الحسن النَّاظِم لسلوكِ المُجتَمعِ الأوسعِ، وتوثيق المحبة، والتآلف بين أفراد المجتمع، فهي حجر الأساس الذي تبدأ منه الدّعوة والصلاح، وإقامة دين الله في الارض.

أما عن القواعد الأخلاقية اللازمة لسلوك الجماعات فإنها تتضمن كل القواعد التي وردت في سلوك الأفراد، يضاف إليها مجموعة للقواعد الآمرة، وأخرى للقواعد الناهية.

المجموعة الرابعة: القواعد الآمرة لسلوك الجماعة

تتكون القواعد الآمرة لسلوك الجماعة من عشرة قواعد وهي:

٣١-التعاون على الخير
٣٢-كظم الغيظ
٣٣-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٤-إصلاح ذات البين
٣٥-التراحم بين أفراد الجماعة
٣٦-وحدة الصف
٣٧-القول الطيب
٣٨-دفع السيئة بالحسنة
٣٩-الطاعة في غير معصية
٤٠-الشفاعة

وتركز كل قاعدة على ثلاثة أمور:

- المفهوم العام للقاعدة.
- الدليل الشرعي لوجوب القاعدة؛ حيث يتم عرض نماذج من الأدلة وليس حصراً لها.
- ثمار القاعدة.

٣١-التعاون على الخير

القاعدة الأولى من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي التعاون على الخير؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم التعاون على الخير:

التعاون على الخير هو المساعدة على فعل الخير بين أفرد الجماعة، وهذا التعاون ضرورة إنسانية واجتماعية؛ لا يستطيع الناس الاستغناء عنها. فقدرة الفرد قاصرة عن تحصيل حاجته.

ويهدف التعاون إلى تضافر الجهود، وتوحيد الرؤى، وتكامل الطاقات والإمكانات، ويشمل كل مجالات الخير في الحياة؛ مثل: تبادل الخبرات ونقل العلوم والمعارف، التعاون في طلب العلم، التعاون في مجال الدعوة إلى الله، والتعاون لدفع الشر عن الناس.

أدلة وجوب التعاون على الخير:

- (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢).
- (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) (الكهف: ٩٥).
- (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (طه: ٢٩ -٣٢).
- (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) (القصص: ٣٤، ٣٥).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) (صحيح مسلم).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى

مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ) (صحيح الترمذي).

ثمار التعاون على الخير:

يستوجب التعاون على الخير، تجنب الفرقة؛ مع إدراكنا أن الاختلاف سنة قدرية، فلا يزال الاختلاف بين البشر في أديانهم ومعتقداتهم وآرائهم ومواقفهم.

يستلزم جني ثمار التعاون تجنب أسباب الفرقة؛ لذا نبيّن بعض الضوابط التي تعين على ذلك:

- إذا تعذر الإجماع عن شيء فلا نجعل توحد الجميع شرطاً للتعاون، فلنسعَ ليكون اختلافنا اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد فكل جماعة أو فرد يعتنون بالجانب الذي يتقنونه.
- الاعتدال في مواقفنا مع المخالف، فالاجتهادات تتغير، فقد تكون الحدة أو الكتابة ضد شخص أو جماعة عائقاً عن الرجوع للحق.
- العدل مع من نختلف معهم فلا نستر الحسن وما عندهم من أدلة بنوا عليها آراءهم، ولا نحرف كلامهم أو نقتطع منه ما يغير معناه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: ٨).
- الترفق بالمخالف، والتلطف في محاورته، اقتداء بالمنهج النبوي في تعامل الأنبياء عليهم السلام مع مخالفيهم ممن لا يدينون بدينهم، فإخواننا أفراداً وجماعات أولى بذلك.
- حينما نختلف مع إخواننا لا ننسى أن لهم حقوق علينا؛ فلا نغمطهم حقوقهم التي افترضها الله علينا من حسن المعاشرة، ومحبة الخير لهم؛ والخلاف معهم ليس بمسقط لحقوقهم.
- الموازنة بين المصالح والمفاسد في نقاش المسائل الخلافية، فيحصر نقاش المسائل الاجتهادية التي تؤجج المشاعر وتكون سبباً في الفرقة على الخاصة.

- ترك العمل بالظن؛ والتثبت مما ينسب للمخالف لا سيما أنَّنا نعيش في عالم تسـيطر فيه الكثير من الأجهزة الأمنية على أغلب مناحي الحياة مع فشو النفاق.
- عدم إغفال التباين في قدرات الناس والظروف التي يعيشون فيها فلا نطلب من شخص ما ليس في مقدوره.
- التسـليم لرأي المختصـين في كل مجال، وما تتداخل فيه المجالات يرجع فيه للموازنة بين المصالح والمفاسد.

للتعاون على الخير ثمار كثيرة منها:

- استفادة كلِّ فرد مِن خبرات وتجارب الآخرين في شتى مناحي الحياة.
- إظهار القوَّة والتَّماسك.
- تنظيم الوقت وتوفير الجهد.
- تقاسم الحِمْل وتخفيف العبء.
- سهولة التَّصدِّي لأي أخطار تواجه الإنسان ممَّن حوله.
- سهولة إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد.
- القضاء على الأنانية وحبِّ الذَّات.
- يزيل الضَّغائن والحقد والحسد مِن القلوب.
- يساعد الفرد على بذل المزيد مِن الجهد والقوَّة.
- يساعد على سرعة التَّنفيذ.
- يسرِّع مِن عجلة التَّطوُّر العلمي والتَّقدُّم التِّقني.
- يولد سلامة الصدر ويكسب حبَّ الخير للآخرين.
- يؤدِّي بالفرد إلى الإتقان في العمل.
- يولِّد عند الفرد الشُّعور بالقوَّة.
- يحقِّق أكبر الاستثمارات.
- يحدُّ مِن الازدواجيَّة في العمل.
- يتبيَّن للفرد ما يمتلك مِن طاقة وخبرات وقدرات.
- استغلال الملَكَات والطَّاقات المهدرة الاستغلال المناسب لما فيه مصلحة الفرد والمجتمع.

٣٢-كظم الغيظ

القاعدة الثانية من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي كظم الغيظ؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم كظم الغيظ:

كلنا نواجه شيئاً من الاستفزاز الذي هو اختبار لقدرة الإنسان على الانضباط. شرع الدين الإسلامي للعبد أن يعاقِب بمثل ما عوقِب به، وقد أرشده لما هو أفضل من ذلك كظم الغيظ. والغيظ هو شعور بالغضب الشديد إزاء إساءة أو تصرف صدر من الغير، حيث إنّ كظم الغيظ يحتاج إلى مجاهدة عظيمة فهو شديد على النفس البشريّة، ولكن إذا عوّد المرء نفسه مّرة تلو الأخرى على حبس غيظه صار الأمر سهلاً في المرات القادمة.

وكظم الغيظ خلق كريم من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحث الناس على الاتصاف بها، فهو يقتضي حبس الغيظ والغضب وإمساكه، وضبط النفس وعدم إنفاذ العقوبة للمسبّب له مع القدرة على ذلك، بل العفو والصفح عنه، والدفع بالتي هي أحسن.

والناس درجات في الغضب:

التفريط: ويكون ذلك بفقد قوة الغضب بالكلية أو بضعفها.

الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين ولا تبقى للمرء معها بصيرة ونظر ولا فكرة ولا اختيار.

الاعتدال: وهو المحمود وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدين.

أدلة وجوب كظم الغيظ:

- (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٣-١٣٤).
- (وَالَّـذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَـا غَضِـبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)(الشورى: ٣٧).
- (ادْفَـعْ بِـالَّتِي هِـيَ أَحْسَنُ فَـإِذَا الَّـذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّـهُ وَلِـيٌّ حَمِـيمٌ، وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الَّـذِينَ صَـبَرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: ٣٤، ٣٥).

- قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: (مـا مِـن جَرعـةٍ أعظـمُ أجـرًا عنـدَ اللَّهِ، مـن جَرعـةِ غـيظٍ كظمَهـا عبـدٌ ابتغـاءَ وجـهِ اللَّه) (صحيح ابن ماجه).

ثمار كظم الغيظ:

أسباب تعين على كظم الغيظ وتساعد على جني ثماره:

- دعاء الله عز وجل.
- احتساب الأجر والثواب عند الله عز وجل.
- الاستعانة بالصبر والصلاة.
- اللين والرفق بحق المخطئ.
- الرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، واللين معه والرفق به.
- تربية النفس على الرضا والصبر.
- حسن الظن بالآخرين والثقة بهم.
- تجنّب السرعة في الحكم على الآخرين.
- السمو بالنفس وعدم جدال الجاهلين.
- قطع الطريق على المسيء من البداية بتجنّبه.
- حفظ المعروف والخير السابق للمسيء.
- التقليل من الكلام حال الغضب.
- تذكر وصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بعدم الغضب.
- تغيير الحالة التي يكون عليها المرء كأن يجلس إذا كان واقفاً.
- ترك مكان النزاع والذهاب لمكان هادئ.
- اللجوء إلى الوضوء لإطفاء نار الشيطان.
- تعلم العلم النافع.
- ضبط اللسان.
- معرفة عواقب الأمور.
- التربية على حسن الخلق.

بعض ثمار كظم الغيظ:

- نيل مغفرة الله عزّ وجلّ ومحبّته والحصول على الأجر العظيم في الدنيا والآخرة.
- ملء القلب رجاءً بيوم القيامة.
- النجاة من التصرف الخاطئ المتسرع الذي يجلب الندامة.
- التغلب على الشيطان الرجيم والانتصار على وساوسه وإفقاده الأمل من الوقوع في المعاصي.
- تحقيق تقوى الله عزّ وجلّ.
- تدريب النفس على التحمل والصبر.
- التحلي بخلق كريم من مكارم الأخلاق.
- كسب محبة الآخرين وتحويل الأعداء إلى أصدقاء ومحبّين.
- التفكير بحكمة ورويّة وإيجاد الحلول الحقيقية للمشكلات .
- قال على رضي الله عنه: "دُمْ على كَظْم الغَيْظ تُحْمد عواقبك"
- وقيل: "اصبر على كَظْم الغَيْظ، فإنَّه يُورث الرَّاحة، ويؤمِّن السَّاحة".
- وقيل: مَن كَظَم غَيْظَه وردَّ غَضَبه، أخزى شيطانه، وسَلِمت مروءته ودينه.

٣٣-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

القاعدة الثالثة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف هو كل ما عُرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وهو كل ما عرف في الشرع من خير وطاعة مندوباً كان أو واجباً، وسمي معروفاً لأن العقول السليمة تعرفه.

والمنكر كل قول وفعل وقصد عُرف قبحه شرعاً وعقلاً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي. يكفي أن يقوم به البعض نيابة عن الجماعة. ويكون فرض عين إذا كان في موضع لا يعلم به إلا شخص محدد، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، كمن يرى زوجته أو أولاده أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمم السابقة، كما دل على ذلك القرآن الكريم: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (المائدة: ٧٨، ٧٩).

أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤).
- (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠).
- (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: ١٥٧).

- (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٧١).
- (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة:١٢٢)
- (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: ٤١).
- (وَالْعَصْرِ، إِنّ الإنسَانَ لفي خُسْرٍ، إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصّبْرِ) (العصر:١-٣).

ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد الدائم المفروض على المسلم، وهو أصل مهم من أصول قيام حضارة الإسلام؛ فلا قيام لشريعة الإسلام بدونه. ويهف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى تحقيق الثمار الآتية:

- حفظ الإسلام من الشرك والبدع.
- إثبات معاني الخير والصلاح في الأمة الإسلامية .
- إزالة عوامل الفساد والشر من حياتها والقضاء عليها أولا بأول حتى تسلم الأمة وتسعد.
- تهيئة الجو المناسب الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرذائل، ويتربى في ظله الضمير العف، والوجدان اليقظ الذي لا يسمح للشر أن يبدأ فضلا عن أن يبقى أو يمتد.
- تكوين الرأي المسلم الواعي الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها ويجعل لها شخصية وسلطانا هو أقوى من أي قوة وأنفذ من الأنظمة والقوانين.
- بعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكامل والتعاون على البر والتقوى واهتمام المسلمين بعضهم ببعض. وذلك مما يوطد الأمن ويبعث الطمأنينة على الحقوق والحرمات؛ وأنها في حراسة الأمة وبأعينها مما يؤكد الثقة والمحبة والاعتزاز بالجماعة في قلوب المؤمنين.

٣٤-إصلاح ذات البين

القاعدة الرابعة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي إصلاح ذات البين؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم إصلاح ذات البين:

إصـــلاح ذات البين هو بذل الجهد لتحســين العلاقات بين أعضـــاء الجماعة، وتقوية الروابط فيما بينهم؛ وإزالة المشاحنة والخلاف، ومنع القطيعة وإقامة الألفة، وإشـــاعة روح الحب والتعاون والتضـــامن والإخاء بين المؤمنين بعضــهم مع بعض؛ فترك إصــلاح ذات البين يعني الفرقة والضـعف وإيجاد الثغرات التي يدخل من خلالها الشيطان ويتسلل منها العدو فتحدث الهزيمة والانهيار: لهذا كان الأمر بإصلاح ذات البين أول الأوامر بعد تقوى الله عز وجل لتحقيق النصر والغلبة على الأعداء.

أدلة وجوب إصلاح ذات البيت:

- (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ.) (الأنفال:١).
- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات:١٠).
- (لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء:١١٤)
- (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات:٩).

ثمار إصلاح ذات البين:

الإسلام دين يتشوّف إلى الصلح ويسعى له وينادي إليه، وليس ثمة خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة يصلح فيها العبد بين اثنين ويقرب فيها بين قلبين، فبالإصلاح تكون الطمأنينة والهدوء والاستقرار والأمن وتتفجر ينابيع الألفة والمحبة.

ويتطلب إصلاح ذات البين أمور هامة منها:

- استحضار النية الصالحة وابتغاء مرضاة الرب جل وعلا.
- تجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية فهي مما يعيق التوفيق في تحقيق الهدف المنشود.
- لزوم العدل والتقوى في الصلح.
- أن يكون المصلح عاقلا حكيما منصفاً في إيصال كلِّ ذي حقٍّ إلى حقِّه مدركا للأمور متمتعا بسعة الصدر وبُعد النظر.
- الحذر من فشو الأحاديث وتسرب الأخبار مما يفسد الأمور المبرمة والاتفاقيات الخيرة، لأن من الناس من يتأذى من نشر مشاكله أمام الناس، وكلما ضاق نطاق الخلاف كان من السهل القضاء عليه.
- اختيار الوقت المناسب للصلح بين المتخاصمين حتى يؤتي الصلح ثماره ويكون أوقع في النفوس.
- أن يكون الصلح مبنيا على علم شرعي يخرج المتخاصمين من الشقاق إلى الألفة ومن البغضاء إلى المحبة.
- التلطف في العبارة واختيار أحسن الكلم في الصلح.
- استحباب الرفق في الصلح وترك المعاتبة إبقاء للمودة، لأن العتاب يجلب الحقد ويوغر الصدور.
- البدء بالجلسات الفردية بين المتخاصمين لتليين قلبيهما إلى قبول الصلح مع الثناء على لسان أحدهما للآخر.
- وأخيرا... الدعاء بأن يجعل الله التوفيق حليفك وأن يسهل لك ما أقدمت عليه مع البراءة إليه سبحانه من قوتك وقدرتك وذكائك وإظهار العجز والشدة والحاجة إليه للتأييد والتوفيق.

من ثمار إصلاح ذات البين:

- زرع المودة مكان القطيعة، وبث المحبة بين الناس بدلاً من الكراهية.
- نشر فضيلة العفو والتجاوز بين الناس.
- تحصيل الحسنات والدرجات الرفيعة.
- إصلاح المجتمع وتفريغه للعمل الجاد.
- راحة القلوب وهدوء الأنفس من البغضاء والأحقاد.

٣٥-التراحم بين أفراد الجماعة

القاعدة الخامسة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي التراحم بين أفراد الجماعة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم التراحم بين أفراد الجماعة:

الرحمة هي إرادة إيصال الخير للغير؛ فهي رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ. والتراحم بين أفراد الجماعة يعني نشر الرحمة بينهم، يعني التآزر والتعاطف والتعاون، ويعني بذل الخير والمعروف والإحسان لمن هو في حاجة إليه. يكفي الرحمة شرفا وقدرا أنها صفة من صفات الله عز وجل، يتضمنها اسمه سبحانه: الرحمان، واسمه: الرحيم. فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

أدلة وجوب التراحم بين أفراد الجماعة:

- (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ...) (الفتح: ٢٩).
- (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ) (التوبة:٦١).
- (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١٢٨).
- (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء:١٠٧).
- (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم:٢١).
- (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (النور:٢٠).
- (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام: ٥٤).
- (وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:١٥٦).
- (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور:٥٦).

- (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر:٥٣).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) (صحيح مسلم).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (ارحَموا تُرحموا، واغفِروا يغفِرْ لكم، ويلٌ لأقماعِ القولِ، ويلٌ للمُصرِّين على ما فعلوا وهم يعلمون). (الجامع الصغير).
- قال صلى الله عليه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (صحيح أبي داود).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَرحمُ اللهُ مَن لا يرحَمُ النَّاسَ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (ليس منا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صغيرنا ويوَقِّرْ كبيرنا ويأمُرْ بالمعروفِ وينْهَ عنِ المنكَرِ) (سنن الترمذي).

ثمار التراحم بين أفراد الجماعة:

الرحمة والتراحم خلق عظيم وجليل وجميل من أخلاق الإسلام، خلق ينبعث من شعور العبد بما يقاسيه غيره من هموم وآلام وأحزان، فيحمله ذلك على الوقوف إلى جانبه، وإسداء المعروف إليه. خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، وسمة من سمات عباد الله الصالحين.

قال ابن القيّم رحمه الله: ومن رحمته سبحانه ابتلاء الخلق بالأوامر والنّواهي رحمة لهم وحميّة لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به. ومن رحمته: أن نغّص عليهم الدّنيا وكدّرها؛ لئلّا يسكنوا إليها ولا يطمئنّوا إليها ويرغبوا عن النّعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم. ومن رحمته بهم: أن حذّرهم نفسه؛ لئلّا يغترّوا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به. ومن رحمته أن أنزل لهم كتبا، وأرسل لهم الرّسل لكنّ النّاس افترقوا إلى فريقين؛ فأمّا المؤمنون: فقد اتّصل الهدى في حقّهم بالرّحمة فصار القرآن لهم هدى ورحمة. وأمّا الكافرون: فلم يتّصل الهدى بالرّحمة فصار لهم القرآن هدى بلا رحمة.

٣٦-وحدة الصف

القاعدة السادسة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي وحدة الصف؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم وحدة الصف:

وحدة الصف هي تحقق الإخاء والائتلاف بين أعضاء الجماعة، ووحدة كلمتهم؛ فيحصل بها قوتهم، ومهابتهم، ويحقق لهم منعة من أن يطمع فيهم أعداؤهم، أو يُقدموا على النيل منهم؛ وبغيرها يكون الضعف والفشل والتفرق. ووحدة الصف، تعني التعاون على الخير والحق، وأن يلين بعضنا لبعض ويتواضع، وأن يكون للجماعة رأس واحد ومرجع واحد تجتمع عليه وتحافظ عليه، وألا تسمح لأحد أن يخرج على الجماعة وقيادتها بغير حق، وألا يتولى قيادة الجماعة إلا من ترضاه وتختاره من أهل العلم والتقوى والخبرة.

إن الاجتماع والائتلاف مطلب ضروري لا غنى عنه لجماعة تريد الفلاح، وقد جاء الشرع بالتأكيد على هذا الأصل ورعايته، ولكن المواقف تعصف بالناس، والأحداث قد تفرز اختلافاً في الآراء والمواقف، وهذا أمر لا بد أن يقع من البشر، فإذا اتسعت شقة الاختلاف وبدأ يتجاوز قدر الاختلاف في الرأي، بدا معه الحاجة الماسة إلى الوصية والتأكيد على معاني الاجتماع والائتلاف ووحدة الصف.

أدلة وجوب وحدة الصف:

- (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (آل عمران: ١٠٣).
- (وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥).
- (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأنعام:١٥٩)
- (وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٤٦).
- (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣).
- (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ) (التوبة: ٧١).

- (مِـنَ الَّـذِينَ فَرَّقُـوا دِيـنَهُمْ وَكَـانُوا شِـيَعًا كُـلُّ حِـزْبٍ بِمَـا لَـدَيْهِمْ فَرِحُـونَ) (الروم: ٣٢).
- قــال رســول الله صــلى الله عليــه وســلم: (إنَّ اللَّهَ يَرْضَــى لَكُـمْ ثَلاثًــا، ويَكْـرَهُ لَكُـمْ ثَلاثًــا، فَيَرْضَــى لَكُـمْ: أنْ تَعْبُـدُوهُ، ولا تُشْـرِكُوا بـه شـيئًا، وأَنْ تَعْتَصِـمُوا بحَبْـلِ اللهِ جَمِيعًـا ولا تَفَرَّقُـوا، ويَكْـرَهُ لَكُـمْ: قيـلَ وقـالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ) (صحيح مسلم).

ثمار وحدة الصف:

كل الخير في الوحدة ورص الصفوف ووحدة الكلمة، وكل الشر في التشرذم والتمزق والتفرق. لذلك يجب الـتأكيد على الأمور الآتية:

- لا بد من التأكيد على أهمية وحدة الصف وإشاعة الحديث حوله حتى يتأكد هذا المعنى ويستقر.
- تقوية الأواصر بين أفراد الجماعة، ويمكن أن يتم ذلك من خلال التزاور والاجتماع، والتعاون على الأعمال المفيدة، ومع ما في ذلك من تحقيق للمحبة والمودة فإنه يفتح المجال للنقاش حول أمور الخلاف حين يوجد الخلاف، فتكون هناك جسور مفتوحة يمكن التواصل من خلالها.
- الموازنة بين قول الحق ووحدة الصف : قد تكون هناك رغبة في بيان ما يعتقد الشخص بأنه هو الحق، وإن كان الغالب أن أمثال هؤلاء لا يسلم من ملابسة الهوى، ومن ثم فإن الاحتجاج ببيان الحق وحده لا يكفي، ولا بد هنا من مراعاة أمور منها أن يكون الحق واضحا جلياً، وأن يكون بيان الحق بالأسلوب المناسب، وأن يسلك فيه صاحبه العدل ويجانب البغي والظلم، ويجب أن يعلم أن من مسؤوليته وحدة الصف والسعي لجمع الكلمة، وأن يكون بيان الحق من الشخص المناسب، وعندما يتم بيان الحق فلا ينبغي أن يستمر الناس في الخوض فيما لا أثر له إلا إيغار الصدور وإثارة الفرقة.
- الاعتدال في الحكم على الأخطاء: لا يمكن أن يسلم البشر من الوقوع في الخطأ، ومهما بلغ الإنسان من العلم والتقوى والورع وكبر السن فهو عرضة للجهل والهوى والزلل، والخطأ يتفاوت أمره، فالخطأ في المسائل

الظاهرة ليس كالخطأ في المسائل الخفية، وحين يترجح بيان خطأ إنسان فينبغي الاعتدال في ذلك، ومجانبة الغلو والشطط.

- الحذر من الانشغال بعيوب الناس؛ فالمسلم مأمور بحفظ لسانه وصيانة أعراض المؤمنين، ومن أعظم الآفات أن ينشغل المرء بعيوب الآخرين.
- الخلاف لا بد منه: يطمع بعض الغيورين والحريصين على وحدة الكلمة في قطع دابر الاختلاف والفرقة، لكنهم يتطلعون إلى نفي الخلاف في الرأي، ويسعون إلى الاتفاق على ما لا يمكن الاتفاق عليه، وإذا كنا نريد وحدة الصف وجمع الكلمة، فلا بد من استيعاب تعدد الآراء والاجتهادات، بل لا بد أن نتجاوز ذلك إلى استيعاب أن الناس لن يكونوا نسخة واحدة، وبدلاً من السعي لتذويب ما لا يمكن تذويبه من الفوارق ينبغي أن يتركز الأمر على استجلاء الثوابت، وضبط الاجتهادات وتسديد المسيرة.

٣٧-القول الطيب

القاعدة السابعة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي القول الطيب؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم القول الطيب:

القول الطيب هو قول الكلمة الطيبة التي تؤلِّف القلوب وتَسُرُّ النفوس، وتُذهب الأحزان وتُبهج الأسماع، وتَهدي الضال، وتعلِّم الجاهل، وتُرشد التائه، وتذكِّر الغافل، وتُنفس الكرب، وتُروِّح عن النفس، وتُطمْئِنُ القلب، وتقرِّب البعيد، وتُيسِّر العسير، وتذلِّل الصَّعب، وتُهيئ الأسباب، وتَفتح المغاليق.

القول الطيب أن نستبدلَ بكلمات النقد والتجريح كلمةَ نُصحٍ حانية تريح، وبكلمة التصريح كلمات التلميح، وبعبارات اللوم ألفاظَ التوجيه، بعيدًا عن الفحش والبذاء، والضَّرر والإيذاء.

فالكلمة الطيبة توحِّد الصف وتجمَع الشَّملَ، وتنفي الحقدَ، وتُصلح ذات البين، تُميت البدعة وتُحيي السُّنة، وتنشُر الدعوة، وتُنمي الموهبة، تَسمو لآفاق بعيدة، وترمي لمقاصد رشيدة.

إن الكلمة الطيبة لا تتطلب مالًا، ولا تكلف جهدًا، كما أنها لا تُشترى بملء الأرض ذهبًا.

أدلة وجوب القول الطيب:

- (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) (الحج: ٢٤).
- (قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: ٨٣).
- (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا) (الإسراء:٢٨).
- (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء: ٥٣).
- (لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا، إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُـــوَءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء: ١٤٨ -١٤٩).
- (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (العنكبوت: ٤٦).

- (ادْعُ إِلَى سَـــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَـــنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَــلَّ عَنْ سَـــبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥).
- (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت: ٣٤).
- (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران:١٥٩).
- (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَـــى) (طه: ٤٣، ٤٤).
- (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر:١٠).
- (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (إبراهيم:٢٤).
- سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الإسلام؟ قال:(طِيبُ الكلامِ وإطعامُ الطَّعامِ) (صحيح ابن حبان).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (الكلمةُ الطَّيِّبةُ صدقةٌ وكلُّ خطوةٍ تخطوها إلى المسجدِ صدقةٌ) (صحيح ابن حبان).
- قال صلى الله عليه وسلم: (مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيْرًا، أو لِيَصْمُتْ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) (صحيح البخاري).
- قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) (صحيح ابن ماجه).
- قـال صـلى الله عليـه وسـلم: (إِنَّ مِـنْ مُوجِبَـاتِ الْمَغْفِـرَةِ بَـذْلُ السَّـلامِ، وَحُسْنُ الْكَلامِ) (صحيح الجامع).

ثمار القول الطيب:

أمر الله تعالى عباده أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها، ومن الكلمات أجملها عند حديث بعضهم لبعض حتى تشيع الألفة والمودة، وتندفع أسباب الهجر

والقطيعة والعداوة. بل إن كلمة واحدة كفيلة بتغيير مجرى حياة الأمم والمجتمعات من الشر إلى الخير، ومِن الذِّلة إلى العزة، ومن السفول إلى الرقي والنهضة، ومن المعصية إلى الطاعة.

فحين تأمُر بمعروف تنتقى أطايبَ الكلام، وحين تنهى عن منكر، تبتعد عن الفُحش والخَنا، وحين تدعو إلى الله، فبالحكمة والموعظة الحسنة، وحين تجادل فبالتي هي أحسن، وحين تحاط الكلمة بسياج العقل، وتُحَدُّ بإطار الشرع، تفعَل فِعلَ السحر: "وإن من البيان لسحرًا"، فتهز القلوب وتلامس المشاعر، وتَنفُذ إلى العقل والوِجدان.

وإن كنا مطالبين بالقول الطيب للناس كافة فإن هذا المطلب يتأكد في حق أصناف من الناس هي الأولى بهذا الخلق، ومن هؤلاء:

- الوالدان: فأحق الناس بالتعامل معهم بهذا الخلق الكريم الوالدان اللذان أمر الله ببرهما والإحسان إليهما، ومن الإحسان إليهما اختيار الطيب من الأقوال عند الحديث إليهما قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً) (الإسراء:٢٣).
- الزوجان: إن الأســـاس الذي تبنى عليه البيوت هو الرحمة والمودة؛ قال تعالى:(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِـــكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْـــكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَـــةً إِنَّ فِي ذَلِـــكَ لَآيـــاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم:٢١). فيحتاج الزوجان لاختيار أحســـن الألفاظ للتخاطب بها ولإبداء مشـــاعر الحب والرحمة.

هكـذا ينبغــي للمســلم أن يتعهـد لســانه وألا يقـول إلا خيـرا، وصـــدق الله القائـل:(لا خَيْـرَ فِـي كَثِيـرٍ مِـنْ نَجْـوَاهُمْ إِلَّا مَـنْ أَمَـرَ بِصَـدَقَةٍ أَوْ مَعْـرُوفٍ أَوْ إِصْــلاحٍ بَــيْنَ النَّـــاسِ وَمَــنْ يَفْعَــلْ ذَلِــكَ ابْتِغَــاءَ مَرْضَــاتِ اللَّهِ فَسَــوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (النساء:١١٤).

٣٨-دفع السيئة بالحسنة

القاعدة الثامنة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي دفع السيئة بالحسنة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم دفع السيئة بالحسنة:

إذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تفعل مثله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصلت فائدة عظيمة.

إن العادة الغالبة في حياة الناس هي مقابلة السيئة بالسيئة، والقطيعة بالقطيعة، وليس ذلك إلا لضعف الإيمان، ورغبة النفس في الانتقام، طارحة وراءها كل النصوص التي تحث على الحلم والعفو والتجاوز ودفع السيئة بالحسنة.

لا تستوي الحسنات والطاعات مع السيئات عند الله ولا عند الخلق، فإذا كنت من أهل الإحسان فاحمل نفسك على مقابلة الإساءة بالإحسان والعداوة بالسماحة والدفع بالتي هي أحسن فإن ذلك من أكبر عوامل تغيير مواقف الأعداء والمسيئين، وإن كان المطلوب صعباً على النفس فإن المقابل عظيم والأجر جزيل، فهذه المرتبة لا يلقاها إلا أهل الصبر والمراتب العلا.

أدلة وجوب دفع السيئة بالحسنة:

- (وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد:٢٢).
- (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: ٣٣-٣٥).
- (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء:٥٣).

- (وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَالْمَساكِينَ وَالْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور:٢٢).

ثمار دفع السيئة بالحسنة:

إن الدفع بالتي هي أحسن هو الدواء لما يبلى أو ينهدم من الروابط الاجتماعية، والمصلح لما يفسد منها، والمجدد لما ينطمس منها، وبه تحيا معاني الخير في النفوس، ويتبارى الناس في الإحسان، وتغلق أبواب الشر على الشيطان، ولا يتاح للإساءة أن تتفاقم بل يغمرها الإحسان ويقضي على دوافعها ورواسبها.

إن الدفع بالتي هي أحسن يحتاج إلى تمرين، لكي يواجه الإنسان السيئة بالحسنة. يلزمه الإرادة والصبر؛ وتذكر أن دفع "السيئة" التي بذرت الشقاق يحتاج لأحسن ما عنده من مكارم الأخلاق: فيستعرض رصيده منها مع نفسه، ويعمل على تزكيتها، وعلى الاستزادة من ذلك "الأحسن" الذي سيدفع به السيئة. ويتطلب الأمر الارتقاء بالمشاعر، وتجنب مثيرات الشقاق والعمل على تأليف قلبه مع الآخرين؛ وتذكر أن الطرف الثاني إنسان له مشاعره، يخطئ فيحزن ويندم وقد يسيء التعبير عن نفسه.

قد يكون لأحد الطرفين مبرراته في عدم القيام بالدفع أو عدم الاستجابة له لعمق الجرح النفسي الحاصل من السيئة ابتداء، ولكن هذا يتفوق عليه أحدنا بالطاعة وتقوى الله. فقد يتحول الأمر إلى توسيع الشقاق، وتبادل الاتهامات محل تقديم الاعتذار، والإصغاء لوسوسة شياطين الإنس والجن؛ لذلك كان نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التباغض (لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ) (صحيح مسلم).

٣٩-الطاعة في غير معصية

القاعدة التاسعة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي الطاعة في غير معصية؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الطاعة في غير معصية:

تكون الطاعة لوليِّ الأمر الشرعي؛ وهو كل من جعل الله تعالى له ولاية على من تحته، ويدخل في ولاة الأمر العلماء؛ حيث يطاعون فيما يأمرون به من المعروف وينهَوْن عنه من المنكر، ولا يدخل في ولاة الأمر الطواغيت الذين يغتصبون السلطة بطريقة غير مشروعة.

والطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة من قواعد نظامه السياسي، وهي من الأمور الضرورية لتمكين ولي الأمر من القيام بواجبه الملقى على عاتقه، وضرورية أيضًا لتمكين الدولة من تنفيذ أهدافها وتحقيق أغراضها، ورضي الله عن عمر بن الخطاب حيث يقول: (لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة).

فطاعة الله ورسوله واجبة على كل مسلم، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من ولاة الأمر من المال، فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم فما له في الآخرة من خلاق.

حينما أوجب الله عز وجل على الرعية أن تطيع ولاة الأمور لم يجعل هذه الطاعة مطلقة من كل قيد، وذلك لأن الحاكم والمحكومين كلهم عبيد لله عز وجل، واجب عليهم طاعته وامتثال أوامره، لأنه هو الحاكم وحده، فإذا قصرت الرعية في حق من حقوق الله تعالى فعلى الحاكم تقويمها بالترغيب والترهيب حتى تستقيم على الطريق، وكذلك الحاكم إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له، وإنما على الأمة نصحه وإرشاده، والسعي بكل وسيلة إلى إرجاعه إلى الحق؛ شريطة ألا يكون هناك مفسدة أعظم من مصلحة تقويمه، وإلا فعلى الرعية الصبر حتى يقضي الله فيه بأمره ويريحهم منه...

أدلة وجوب الطاعة في غير معصية:

- (يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِـى الأمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيء فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذالِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً) (النساء: ٥٩).

- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الممتحنة: ١٢).
- قال صلى الله عليه وسلم: (السَّمْعُ والطَّاعَةُ علَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيما أحَبَّ وكَرِهَ، ما لَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فإذا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعَةَ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (عليكَ السَّمعَ والطَّاعةَ في عُسْرِك ويُسْرِك، ومَنشطِكَ ومكرهِكَ، وأثَرةٍ عليكَ) (صحيح مسلم).
- قال صلى تالله عليه وسلم: (مَن أطاعَنِي فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن عَصانِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومَن أطاعَ أمِيرِي فقَدْ أطاعَنِي، ومَن عَصَى أمِيرِي فقَدْ عَصانِي) (صحيح البخاري).

ثمار الطاعة في غير معصية:

لقد أوجب الله تعالى طاعةَ ولاة الأمر فيما يأمرون به وينهَون عنه، وسواء أكان ذلك مما يحبه المرء المسلم أم مما يكرهه؛ لأنه لا يمكن أن تستقيم البلاد ويأمن العباد من غير طاعة الولاة، ولكن الشرع جعل لهذه الطاعة حدًّا لا يجوز تجاوزُه، وهو: ألا يكون ذلك إلا في المعروف؛ فلا طاعة لهم في معصية الله تعالى، وفي هذا تنبيه لأمرين؛ أولهما :على ولي الأمر أن يجتنب الأمر بمعصية الله تعالى، وثانيهما :على الناس جميعًا أن يقدموا طاعة الله تعالى على طاعة كل أحد؛ فإن الأصل أن طاعة الولاة من طاعة الله تعالى، فلا يتصور أن يكون مأمورًا بطاعتهم فيما يناقض أمر الله تعالى وشريعته.

ومن ثمار طاعة ولي الأمر في غير معصية ترسيخ أسس الاستقرار في المجتمع بعيدا عن الشقاق والتشرذم، والتمكين من تحقيق مقاصد الشريعة:

- حفظ الدين لتقوية عناصر الخير والفضيلة، وتحقيق الحياة السعيدة.
- حفظ النفس بعصمتها وصون حق الحياة.
- حفظ العقل ليكون مناط تحمل المسؤولية وحمل الأمانة.
- حفظ النسل لحفظ النوع واستمرار الحياة إلى أن ويرث الله الأرض ومن عليها.
- حفظ المال ليحقق دورة المشروع في الحياة.

١٠-الشفاعة

القاعدة العاشرة من القواعد الآمرة لسلوك الجماعة هي الشفاعة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة وجوبها، وثمارها.

مفهوم الشفاعة:

الشفاعة في هذا السياق هي الشفاعة في الأمور الدنيوية. فهناك أنواع متعددة للشفاعة يوم القيامة تخرج عن نطاق هذه الدراسة.

الشفاعة في لغة العرب مشتقة من الشفع الذي هو غير الوتر، أي أن الشفع هو الزوج الذي هو عكس الوتر عند الإطلاق. والمعنى العام هو انضمام شيء إلى شيء آخر. وهناك مسألة «الشُّفْعَة» في العرف، فيقال: فلان أخذ هذه الأرض بالشفعة. أي أنه بعد أن كان يملك قطعة واحدة من الأرض، اشترى قطعة الأرض المجاورة لتنضم لأرضه، فبدلاً من أن تكون له أرض واحدة صارت له أرضان.

وقد بيّن الشيخ الشعراوي -رحمه الله -معنى الشفاعة فقال: الشفاعة الحسنة هي التوسط بالقول في وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية أو إلى الخلاص من مضرّة وتكون بلا مقابل. إذن فكل واحد عنده موهبة عليه أن يضم نفسه لغير الموهوب، فبعد أن كان فرداً في ذاته صار شفعاً. ولذلك يقال: فلان سيشفع لي عند فلان، أي أنه سيضم صوته لصوت المستعين به.

أدلة مشروعية الشفاعة:

- (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا). (النساء:٨٥).
- قال صلى الله عليه وسلم (المسلمُ أخو المسلمِ؛ لا يظلمُه ولا يُسلمُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ عن مسلمٍ كُربةً فرَّجَ اللهُ بها عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن ستَرَ مُسلِمًا سترَه اللهُ يومَ القيامةِ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم:(مَن نفَّسَ عن أخيهِ المُسلِمِ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا؛ نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ الآخِرةِ، ومَن ستَرَ على أخيه المُسلِمِ؛ ستَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ، واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيهِ) (صحيح الترمذي).

ثمار الشفاعة:

بين الشيخ الشعراوي ثمار الشفاعة بقوله: ذلك لأن العبد الذي سعى في قضاء حاجة أخيه يكون قد أدى حق نعمة الله فيما تفضل به عليه، ويكون من أثر ذلك أنه لا يسخط أو يحقد غير الواجد للموهبة على ذي الموهبة. وبذلك فسبحانه يزيل الحقد من نفس غير الموهوب على ذي الموهبة؛ فغير الموهوب يقول: إن موهبة فلان تنفعني أنا كذلك، فيحبّ بقاءها عنده ونماءها لديه.

وقال الشيخ الشعراوي: الجزاء الكبير على الحسنة يدفع إلى إشاعة مواهب الناس لكل الناس. وما دامت مواهب الناس مشاعة لكل الناس فالمجتمع يكون متسانداً لا متعانداً، ويصير الكل متعاوناً صافي القلب، فساعة يرى واحد النعمة عند أخيه يقول: سيأتي يوم يسعى لي فيه خير هذه النعمة.

وقال رحمه الله: إن الذي يحب أن تسرع إليه نعم غيره فليحب النعم عند أصحابها. فإنك أيها المؤمن إن أحببت نعمة عند صاحبها جاءك خيرها وأنت جالس. وإذا ما حُرمت من آثار نعمة وهبها الله لغيرك؛ فراجع قلبك في مسألة حبك للنعمة عنده، فقد تجد نفسك مصاباً بشيء من الغيرة منها أو كارهاً للنعمة عنده، فتصير النعمة وكأنها في غيرة على صاحبها، وتقول للكاره لها: «إنك لن تقربني ولن تنال خيري».

وتكون الشفاعة في شيء مباح، فلا تصح الشفاعة في شيء يترتب عليه ضياع حقوق الخلق أو ظلمهم، كما لا تصح الشفاعة في تحصيل أمر محرم. قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة:٢).

المجموعة الخامسة: القواعد الناهية عن سلوك الجماعة

تتكون القواعد الناهية عن سلوك الجماعة من القواعد العشرة الآتية:

٤١-المراء والجدل
٤٢-السخرية
٤٣-التجسس
٤٤-الغيبة
٤٥-النميمة
٤٦-عدم المبالاة بالفساد العام
٤٧-كتمان الحق
٤٨-شهادة الزور
٤٩-فضول الكلام
٥٠-الغضب

وتركز كل قاعدة على ثلاثة أمور:

- المفهوم العام للقاعدة.
- الدليل الشرعي للنهي عن القاعدة؛ حيث يتم عرض نماذج من الأدلة وليس حصراً لها.
- آثار القاعدة.

٤١-المراء والجدل

القاعدة الأولى من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي المراء والجدل؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم المراء والجدل:

يتطلب بيان مفهوم المراء والجدل بيان خمسة مفاهيم متداخلة وهي: الجدل، الحجاج، المراء، المناظرة، والحوار.

الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه. ويصل الجدل إلى إفحام الغير، وتعجيزه، وتنقيصه؛ بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه. ويكون الجدل مذموما إذا كان الغرض منه تقرير الباطل بعد ظهور الحقِّ، وطلب المال والجاه. ويكون الجدل محموداً إذا كان الغرض منه تقرير الحقِّ، وإظهاره بإقامة الأدلة والبراهين على صدقه.

الحجاج: إظهار الحجة.

المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير.

المناظرة: تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كلٍّ منهما في إظهار ما يعتقد أنه الحق.

المحاورة: هي المراجعة في الكلام، ومنه التحاور أي التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه.

ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: الحوار أن أضئ لك نقطة لا تراها، وأن تضئ لي نقطة لا أراها، ومن خلال الإضاءة المشتركة يتولد مفهوم مشترك، وتوجد فكرة جديدة أكثر نضجاً.

وقد ورد لفظ الجدل والمحاورة في موضــع واحد من ســورة المجادلة في قوله تعالى :(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) (ألمجادلة: ١) . وقريب من الحوار: المناقشة والمباحثة.

أدلة النهي عن الجدل والمراء:

- (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة: ١٩٧).
- (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) (غافر: ٤).

- (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) (آل عمران: ٦٦).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (المِراءُ في القُرآنِ كُفرٌ) (سنن أبي داود).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما ضلَّ قومٌ بعدَ هدًى كانوا عليهِ إلَّا أوتوا الجدل ثمَّ قرأَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ هذهِ الآيةَ :(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف:٥٨) (صحيح الترمذي).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَن ترَك المِراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وببَيْتٍ في وسَطِ الجَنَّةِ لِمَن ترَك الكَذِبَ وإن كان مازحًا، وببَيْتٍ في أعلى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُه) (سنن أبي داود).

آثار المراء والجدل:

ينبغي التمييز بين الجدل المحمود والجدل المذموم:

الجدال المحمود: جدل لإظهار الحق؛ وقد جاءت نصوص تأمر بهذا النوع من الجدال، فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الجدال في قوله تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥) وقال سبحانه: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (العنكبوت: ٤٦).

الجدال المذموم: وهو جدل لإقرار الباطل؛ وقد جاءت الكثير من النصوص والآثار التي حذَّرت من هذا النوع من الجدال ونهت عنه، ومن هذه النصوص: قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ) (الحج: ٣). وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) (الحج: ٨).

وللجدل والمراء المذموم آثار كثرة يجب تجنبها، منها ما يأتي:

- قد يؤدي الجدال الباطل إلى تكفير الآخرين أو تفسيقهم.
- يؤدي إلى التشفي من الآخرين.
- يذكي العداوة، ويورث الشقاق بين أفراد المجتمع.
- يؤدي إلى التطاول والتراشق بالألسنة.
- يؤدي إلى الكذب وإنكار الحق ورده.
- المراء يُغلِق باب الحوار ويُلغيه.

٤٢-السخرية

القاعدة الثانية من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي السخرية؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم السخرية:

السـخرية هي الاسـتهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضـحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

وقال ابن تيمية: الاستهزاء هو: السخرية؛ وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوّعِين من المؤمنين في الصدقات.

ويمكن أن نفرق بين الاستهزاء والسخرية؛ بأن الإنسان يُستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله. أما السخرية تدل على فعل يسبق من المسخر منه.

أدلة النهي عن السخرية:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: ١١).
- (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) (الهمزة: ١-٤).
- (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) (المطففين: ٢٩-٣٤).
- (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) (الزمر: ٥٦).

- (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (البقرة: ٦٧).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ) (صحيح مسلم).

آثار السخرية:

- السخرية والاستهزاء تقطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة، والتواد، والتراحم.
- تبذر بذور العداوة والبغضاء، وتورث الأحقاد والأضغان.
- تولد الرغبة بالانتقام.
- حصول الهوان والحقارة للمستهزئ.
- المستهزئ يعرض نفسه لغضب الله، وعذابه.
- ضياع الحسنات يوم القيامة.
- السخرية نذير شؤم للساخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الذين كفروا بالله وسخروا من نوح.
- السخرية تفقد الساخر الوقار، وتسقط عنه المروءة.
- الساخر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله عز وجل، واستصغار من عظمه الله.
- السخرية من سمات الكفار والمنافقين، وقد نهينا عن التشبه بهم.
- الساخر متعرض للعقوبة في الدار العاجلة أيضًا، بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه.

٤٣-التجسس

القاعدة الثالثة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي التجسس؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم التجسس:

ويُقصد بالتجسس تتبع عورات الناس وأسرارهم، والكشف عن معائبهم؛ بدافع الفضول وإشباع غريزة حبّ الاستطلاع، دون أن يكون له غرض مباح؛ من جلب منفعة راجحة، أو دفع مفسدة متوقعة، سواء أكان ذلك بالتطلّع، أو التنصت والاستماع.

ويجب التمييز بين التجسس -بالجيم-والتحسس -بالحاء. فغالبا يكون التجسس في الشر ويمكن أن يكون التحسس في الخير؛ كما ورد في قوله تعالى عن يعقوب: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ) (يوسف: ٨٧).

ويشرع التجسس إذا كان يهدف إلى مصلحة الدولة الإسلامية في تعاملها مع أعدائها، أو تطهير المجتمعات من أهل الشرّ والفساد، وملاحقتهم والتضييق عليهم. قال تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) (الأنفال: ٦٠). ولا شكَّ أنَّ ذلك لا يتمُّ إلا بمعرفة أخبار الأعداء وخططهم، ورصد تحركاتهم، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، فدلَّت الآية على مشروعية التجسس على الأعداء. ولا يشرع التجسس على خصوصيات المواطنين، ويمكن أن تكون هناك رقابة وفق ضوابط مدروسة.

أدلة النهي عن التجسس:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢).
- (لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (التوبة: ٤٧). معناه وفيكم محبون لهم، يؤدون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا) (صحيح البخاري).

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهونَ أو يفرونَ منه صُبَّ في أُذنهِ الآنكَ يومَ القيامةِ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبةَ في النَّاسِ أفسَدهم) (سنن أبي داود). أي: طلب الريبة، أي: التهمة في الناس بنية فضحهم؛ وما أمهلهم، وجاهرهم بسوء الظن، فيمكن أن يؤدي ذلك إلى ارتكاب ما ظنَّ بهم ورموا به ففسدوا.

آثار التجسس:

- أن التجسس مظهر من مظاهر سوء الظنِّ، وأثر من آثاره، فهو متولِّد عن صفة مذمومة سيئة نهى عنها الدين الحنيف.
- يدل التجسس على دناءة النفس وخسَّتها، وضعف همَّتها، وانشغالها بالتافه من الأمور عن معاليها وغاياتها.
- التجسس سبيل إلى قطع الصلات، وتقويض العلاقات، وظهور العداء بين الأحبة، وبثِّ الفرقة بين الإخوان، فقد يرى المتجسس مِن المتجسس عليه ما يسوءه، فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتخوف؛ بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة، وذلك من نكد العيش.
- بالتجسس تنهار القدوات، وتصغر في الأعين القامات، وعندها تهون الذنوب وتحقَّر السيئات، وتفسير ذلك أنَّ المتجسس عليه إذا كان في منزل القدوة؛ واطلع منه على أمر سيئ، أو ذنب، أو معصية فإنَّه لا شكَّ سيقلُّ قدره، وستتلاشى مكانته، ولن يقبل منه نصحًا ولا توجيهًا، بل ربما تهون المعصية التي عملها على المتجسس فيعملها؛ بحجة أن ليس أحسن حالًا من فلان القدوة الذي تلبس بها.
- كما أنَّه سبيل إلى إشاعة الفاحشة بين المسلمين، وانتشار السوء بينهم، وذلك بما يحصل من نشر لما استتر من الفضائح، وإظهار لما خفي من السوءات.
- البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم؛ يؤدي إلى ظهور ما ستره الله منها.

٤٤-الغيبة

القاعدة الرابعة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي الغيبة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الغيبة:

الغيبة هي ذكر المرء بما يكرهه؛ سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلْقه أو خُلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو الإشارة أو الرمز.

ومن صور الغيبة ما قد يخرج من المرء على صورة التعجب أو الاغتمام أو إنكار المنكر. قال ابن تيمية: ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب فيقول: تعجبت من فلان كيف لا يعمل كيت وكيت... ومنهم من يخرج الغيبة في قالب الاغتمام فيقول: مسكين فلان غمني ما جرى له.

وقيل للغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله: الغيبة والإفك والبهتان.
فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك بأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان بأن تقول فيه ما ليس فيه.

وتجوز الغيبة في حالات محددة مثل:

- التظلم إلى القاضي أو من يقدر على رد الظلم. قال تعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) (النساء:١٤٨).
- الاستعانة على تغيير المنكر: فقد يرى المسلم المنكر فلا يقدر على تغييره إلا بمعونة غيره، فيجوز حينذاك أن يطلع الآخر ليتوصلا على إنكار المنكر.
- التحذير من الشر ونصيحة المسلمين؛ مثل جرح رواة الحديث، فهو واجب للضرورة الداعية إليه لصيانة الشريعة المكرمة.
- المجاهرة بالفسق والبدع: قال الحسن البصري: ليس لصاحب البدعة ولا الفاسق المعلن بفسقه غيبة. وينبغي أن يُصنع ذلك حسبة لله وتعريفاً للمؤمنين، لا تشهيراً وإشاعة للفاحشة أو تلذذاً بذكر الآخرين.

أدلة تحريم الغيبة:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات:١٢).
- (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء: ٣٦). قال الرازي: القفو هو البهت، وأصله من القفا، كأنه قول يقال خلفه، وهو في معنى الغِيبة وهو ذكر الرجل في غيبته بما يسوءه.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ قيلَ أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قالَ: إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ) (صحيح مسلم).
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: حسبُكَ من صفيَّةَ كذا وَكذا. قالَ: غيرُ مسدَّدٍ، تَعني قصيرةً، فقالَ: لقد قُلتِ كلمةً لو مُزِجَت بماءِ البحرِ لمزجَتْهُ) (صحيح أبي داود)، معنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه، أو ريحه، لشدة نتنها، وقبحها، وهذا من أبلغ الزواجر عن الغِيبة.
- صعِدَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ المنبرَ فقالَ: يا مَعشرَ مَن أسلمَ بلِسانِهِ ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قَلبِهِ، لاَ تؤذوا المسلِمينَ ولاَ تعيِّروهم ولاَ تتَّبعوا عَوراتِهِم، فإنَّهُ مَن تتَبَّعَ عورةَ أخيهِ المسلمِ تتَبَّعَ اللَّهُ عورتَهُ، ومَن تتبَّعَ اللَّهُ عورتَهُ يفضَحْهُ ولَو في جَوفِ رَحلِهِ) (سنن الترمذي).

آثار الغيبة:

ينبغي على المسلم أن يبعد نفسه عن مواطن الريبة التي تجعله موضعاً لغيبة الآخرين، وأن يكشف ما قد يلتبس على الناس.

ونبيّن فيما يأتي بعض الأمور التي تبعث على الغيبة، والآثار الضارة لها.

بعض بواعث الغيبة:

- موافقة الأقران والجلساء ومجاملتهم قال الله سبحانه على لسان أهل النار: (كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) (المدثر:٤٥).

- الحنق على المسلمين وحسدهم والغيظ منهم. قال ابن تيمية: ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد، وإذا أثني على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح أو في قالب حسد وفجور وقدح ليسقط ذلك عنه.
- حب الدنيا والحرص على السؤود فيها؛ قيل: ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغي وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير.
- الهزل والمزاح.

بعض آثار الغيبة:

- تزيد في رصيد السيئات، وتنقص من رصيد الحسنات.
- صاحب الغِيبة مفلس يوم القيامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) (صحيح مسلم).
- الغِيبة تسبب هجر صاحبها: الواجب على المسلم، عدم مجالسة من يغتاب المسلمين مع نصيحته والإنكار عليه، لقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: (مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ) (صحيح مسلم). فإن لم يمتثل فاترك مجالسته؛ لأن ذلك من تمام الإنكار عليه.
- تورث الغيبة بين الناس الشحناء والبغضاء، خُصوصاً إذا وصَلَ للشخص المغتاب الكلام الذي قيل عنه، فيحصُلُ عندها التقاطع والتباغُض، وكذلك تنشُرُ الغيبة أجواء من الكراهية وعدم الثقة بين الناس.

٥٤-النميمة

القاعدة الخامسة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي النميمة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم النميمة:

النميمة نقل كلام بين الناس بغرض الإفساد وإيقاع العداوة والكره بينهم، وإيغال صدورهم، وأشد أنواعها حرمة وإثماً نقل الكلام إلى السلطان، وهو ما يعرف بالوشاية، وتنبع خطورتها من كون السلطان ذا قدرة على البطش والانتقام، وإيقاع الظلم.

وتختلف النميمة عن الغيبة؛ وذلك أن النَّميمة نقلُ حال شخص لغيره بغير رضاه، سواء كان بعلمه أم بغير علمه، والغيبة ذِكرُه في غيبته بما لا يُرضيه، فامتازت النَّميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركًا فيما عدا ذلك.

النمام هو إنسان ذو وجهين يقابل كل من يعاملهم بوجه، فهو كالحرباء يتلون بحسب الموقف الذي يريده وقد حذر النبي من أمثال هؤلاء فقال: (تَجِدُ مِن شَرِّ النَّاسِ يَومَ القِيامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذا الوَجْهَيْنِ، الذي يَأْتي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ، وهَؤُلاءِ بوَجْهٍ) (صحيح البخاري).

أدلة تحريم النميمة:

- (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ، هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) (القلم ١٠-١١).
- (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (سورة الأحزاب: ٥٨).
- (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) (الهمزة: ١).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ) (صحيح مسلم).
- قال صلى الله عليه: (إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ) (صحيح البخاري).

- قال صلى الله عليه وسلم: (خيارُ عبادِ اللهِ الَّذينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وشِرارُ عبادِ اللهِ المشَّاؤونَ بالنَّميمةِ، المُفرِّقونَ بينَ الأحِبَّةِ، الباغونَ للبُرَآءِ العَيبَ) (صحيح الترغيب).

آثار النميمة:

نظراً للخطر العظيم للنمية نبيّن فيما يأتي الباعث على النميمة، وصفات النمام، وما يجب على من يستمع إلى النميمة.

بعض الأمور التي تبعث على النميمة:

- جهل البعض بحرمة النميمة وأنها من كبائر الذنوب وأنها تؤدي إلى شر مستطير وتفرق بين الأحبة.
- مسايرة الجلساء ومجاملتهم والتقرب إليهم وإرادة إيقاع السوء على من ينم عليه.
- نشوء الفرد في بيئة تكثر فيها النميمة، فيقتدي بها ويحاكيها.
- الرغبة في الانتقام من الناس.
- المشي في النميمة بغرض الترويح عن النفس، ولهو الحديث.
- الفراغ وقلّة المشاغل، فيملأ النمّام وقته بنقل الكلام بين الناس.
- عدم الخوف من الله، وضعف الإيمان.

صفات النمام:

- أنه حلاف كثير الحلف، ولا يكثر الحلف إلا إنسان غير صادق يدرك أن الناس يكذبونه ولا يثقون به فيحلف ليداري كذبه ويستجلب ثقة الناس.
- أنه مهين لا يحترم نفسه ولا يحترم الناس في قوله، وآية مهانته حاجته إلى الحلف، والمهانة صفة نفسية تلصق بالمرء ولو كان ذا مال وجاه.
- أنه همaز يهمز الناس ويعيبهم بالقول والإشارة في حضورهم أو في غيبتهم على حد سواء.
- أنه مشاء بنميم؛ يمشي بين الناس بما يفسد قلوبهم ويقطع صلاتهم ويذهب بمودتهم وهو خلق ذميم لا يقدم عليه إلا من فسد طبعه وهانت نفسه.

- أنه مناع للخير، يمنع الخير عن نفسه وعن غيره.
- أنه أثيم، يتناول المحرمات ويرتكب المعاصي حتى انطبق عليه الوصف الثابت والملازم له أثيم.
- أنه عتل، وهي صفة تجمع خصال القسوة والفضاضة فهو شخصية مكروهة غير مقبولة.
- أنه زنيم، وهذه خاتمة صفاته فهو شرير يحب الإيذاء ولا يسلم من شر لسانه أحد.

ما يجب على من يسمع النميمة:

- عدمُ تصْديق النَّميمة؛ لأنَّ النمَّام فاسق؛ والفاسق مردود الشهادة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (سورة الحجرات:٦).
- أن يظن بأخيه خيراً؛ ولا يصدق سوءًا بمَن نَقل عنه الكلام.
- أن ينهى النمام وينصحه.
- أن يبغضـــه في الله لأن المؤمن يبغض من يبغضـــه الله، وهذا بغيض عند الله.
- ألا يحملك ما حكى لك هذا الإنسان على التجسس والبحث، ولا تتبع الأمر، أرح نفسك وأرح غيرك.

٤٦-عدم المبالاة بالفساد العام

القاعدة السادسة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي عدم المبالاة بالفساد العام؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم عدم المبالاة بالفساد العام:

عدم المبالاة بالفساد العام حالة وجدانية سلوكية؛ حيث يتصرف المرء بلا اهتمام بالشؤون العامة، وما قد تتضمنه من فساد ينكره الشرع والعقل. وينتج عن ذلك انتشار الأنواع المختلفة للفساد في كل المجالات الاقتصادية، والمالية، الإدارية، والاجتماعية، والسياسية. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك مثل الرشوة، المحسوبية، المحاباة، نهب المال العام، الابتزاز، المتاجرة بالنفوذ، إعاقة سير العدالة، غسيل الأموال ...الخ.

وقد حدد القرآن الكريم طريقة علاج هذا المرض الاجتماعي الخطير بالتناهي عن المنكر من خلال التواصي بالحق والتواصي الصبر.

أدلة تحريم عدم المبالاة بالفساد العام:

- (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) (المائدة: ٧٨ -٧٩).
- (وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر:١-٣).

آثار عدم المبالاة بالفساد العام:

تظهر آثار عدم المبالاة بالفساد العام في شرح الشيخ الشعراوي رحمه الله لمفهوم التناهي عن المنكر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، حيث بيّن أهمية الضمير البشري في ضوء الحالة المتقلبة للنفس البشرية، فقال: نعلم أن حراسة منهج الله تعطي الإنسان السلامة في حركة الحياة على الأرض. وقد جعل الحق سبحانه في النفس البشرية مناعة ذاتية، فساعة توجد في الإنسان شهوة على أي لون سواء في الجنس أو في المال أو في الجاه؛ فقد يحاول الوصول إليها بأي طريق، ولا يمنعه من ذلك إلا الضمير الذي يفرض عليه أن يسير في الطريق الصحيح. هذا الضمير هو خميرة الإيمان، وهو الذي يلوم الإنسان إن أقدم على معصية، هذا إن كان من أصحاب الدين. ولنا أن

ندقق في هذا القول القرآني لأنه يحمل الوصف الدقيق للنفس البشرية في حالتها المتقلبة، فها هو ذا قابيل يتحدث عنه القرآن: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) (المائدة: ٣٠). ومن بعد ذلك، قتل قابيل هابيل، ثم هدأت النفس من سعار الغضب وسعار الحقد، وانتقل قابيل إلى ما يقول عنه القرآن: (فَأَصْبَحَ مِنَ الخاسرين) (المائدة: ٣٠).

وبعد أن شرح الشيخ الشعراوي الحالة المتقلبة للنفس البشرية من خلال التأمل في قصة قابيل وهابيل، قال رحمه الله: وعندما تكرر النفس البشرية فعل السوء ولا تجد من ينهاها، فالسوء يعم وينتشر، هنا تتدخل السماء بإرسال رسول. ويوضح الحق أن السبب في إرسال رسول لهؤلاء الناس أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، والتناهي عن المنكر إنما يكون بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ولا يظنن المؤمن أنه بمنجاة عن خاطر السوء في نفسه لأن كلاً منا بشر. وعرضة للأغيار، ومن لطف الله لحظة أن يهب خاطر السوء على مؤمن أن يجد أخاً خالياً من خواطر السوء فيواصيه بالحق ويواصيه بالصبر؛ لأن الفرد إن جاءه سعار الشهوة في اللحظة التي يجيء فيه السعار نفسه عند صديق له فقد يتفقان على المنكر، أما إن جاء سعار الشهوة لإنسان وكان صديقه مؤمناً خالياً من خواطر السوء، فهو ينهاه ويوصيه بالحق والصبر. . وهكذا؛ يتبادل المؤمنون التناهي بالتواصي؛ فمرة يكون الإنسان ناهياً، ومرة أخرى يكون الإنسان منهياً. وكذلك أعطى الله هذه المسألة كلمة التواصي (إلاَّ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَتَوَاصَوْاْ بالحق وَتَوَاصَوْاْ بالصبر) (العصر: ٣). ولم يخصص الحق قوماً ليكونوا الناهين، وقوماً آخرين ليكونوا المنهيين، لا، بل كل واحد منا عرضة أن يكون ناهياً إن اتجهت خواطر صاحبه إلى الحرام، وعرضة أيضاً لأن يكون منهياً إن كانت نفسه تتجه إلى الحرام، وبذلك نتبادل النهي والتناهي.

ولعل هذا التناهي عن المنكر بالتواصي بالحق والتواصي الصبر هو أفضل الطرق للتعامل مع عدم المبالاة بالفساد العام في المجتمع.

٤٧-كتمان الحق

القاعدة السابعة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي كتمان الحق؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم كتمان الحق:

كتمان الحق هو أن يضمره ولا يتكلم به؛ ولكتمان الحق صور متعددة منها:

- كتمان الشهادة في القضايا الخلافية بين فردين أو بين فريقين.
- كتمان الحق بالتظاهر بالإسلام وكتم الكفر (النفاق).
- كتمان ما يعرف من الحق عن الاسلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كما فعل أهل الكتاب الذي كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يعرفونها عنه في التوراة والإنجيل.
- كتمان بلاغ ما أمر الله بتبليغه للناس.

إذا خاف الشاهد الضرر -ظلما-على نفسه أو بدنه أو ماله أو أهله؛ فلا يلزمه الأداء حينئذ لقول الله تعالى :(وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ) (البقرة:٢٨٢)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم :(لا ضررَ ولا ضِرارَ) (صحيح ابن ماجه).

وقال بعض العلماء: لا يجب أداء الشهادة إذا كان الحاكم غير عدل. قال الإمام أحمد: كيف أشهد عند رجل غير عدل؟ لا أشهد.

أدلة تحريم كتمان الحق:

- (... وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٨٣).
- (... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، (البقرة:١٤٠).
- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.) (البقرة:١٥٩-١٦٠).
- (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، (البقرة:٤٢).
- (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٤٦).

- (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١٨١).
- (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) (النساء:٤٢).
- (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعام: ١٥٢).
- (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) (الطلاق:٢).
- (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) (الفتح:١١)
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أُخبِرُكُم بخيرِ الشُّهداءِ؟ الَّذي يأتي بشَهادتِهِ، أو يخبِرُ بشَهادتِهِ قبلَ أن يُسألَها) (صحيح أبي داود). قالَ مالِكٌ: الَّذي يخبرُ بشَهادتِهِ ولا يعلَمُ بِها الَّذي هيَ لَهُ أو يأتي بِها الإمامَ.

آثار كتمان الحق:

كتمان الحق من أكبر الذنوب التي نهى عنها الإسلام، والله سبحانه وتعالى أمر بأداء شهادة الحق، وأمر بإظهار الحق والتصريح به، ونهى عن اتباع الهوى، وحذر من العدول عن الحق، الذي يؤدي إلى تغيير الشهادة أو ضياع الحقوق.

إن الشهادة أمرها عظيم وخطرها جسيم في تحملها وأدائها، فلا يحل كتمانها، ولا يحل أن يشهد إلا أن يكون عالمًا بما يشهد به علمًا يقينًا، وأنه مطابق للواقع تمامًا، فلا يحل أن يشهد بما لا يعلم. إن للشهادة دور عظيم في إقرار العدل وتثبيت أركانه، وتدعيم الحق وتدعيم بنيانه. والشهادة الحقة تودي في النهاية إلى المحبة، وتدرأ كل نزاع وخلاف.

وتظهر آثار تحريم كتمان الحق في التحذير من هذا الأمر العظيم، وتجنب ما ينتج عنه من الظلم وضياع الحقوق، والتضليل، والخيانة، وضياع الأمانة، وفقدان الثقة، ونشر الفوضى وعدم الاستقرار في المجتمع.

٤٨-شهادة الزور

القاعدة الثامنة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي شهادة الزور؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم شهادة الزور:

الزور هو الكذب الذي قد سُوِّيَ وحُسِّنَ في الظاهر حتى يُخيَّل إلى مَن يسمعه أو يراه أنَّه خلاف ما هو عليه؛ ويُحْسَب أنه صدق.

شهادة الزور: هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مالٍ، أو تحليل حرامٍ، أو تحريم حلال. وهي من أكبر الكبائر في الإسلام.

أدلة تحريم شهادة الزور:

- (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) (الفرقان: ٧٢).
- (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحج: ٣٠).
- (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً) (المجادلة:٢).
- سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال: (أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَيْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وشَهادةُ الزُّورِ، أو وقَولُ الزُّورِ) (صحيح البخاري).
- وقال صلى الله عليه وسلم: (يا أيُّها الناسُ عدَلَتْ شهادةُ الزورِ إشراكًا بالله) (سنن الترمذي).

آثار شهادة الزور:

إن الأصل في الشهادة أن تكون سندًا لجانب الحق، ومُعينة للقضاة على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم؛ فيظلمون، أو يبغون، أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحوَّلت الشهادة عن وظيفتها فكانت سندًا للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق استنادًا إلى ما تضمنته من إثبات، فإنها تحمل حينئذٍ إثم جريمتين كبريين في آنٍ واحد، الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعيَّة الأولى، الجريمة الثانية: قيامها بجريمة تُهضَم فيها الحقوق، ويُظلَم فيها البُرَآء، ويُستَعان بها على الإثم والبغي والعدوان.

من آثار شهادة الزور على المجتمع:

- ظلَمَ الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته مالَه وعرضه، وروحه (أحيانًا).
- أباح ما حرَّم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض.
- ضياع الحقوق، أو ظلم بريء، أو تبرئة ظالم.
- تقويض أركان الأمن؛ إذ يجرؤ الناس على ارتكاب الجرائم، واقتراف الآثام؛ اتِّكالاً على وجود أولئك الفسقة العصاة الآثمين المجرمين.
- ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه ما لا يستحق، فأخذه بشهادة الزور، فوجبت له النار؛ مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (جاء رجُلانِ من الأنصارِ يختَصِمانِ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مواريثَ بينَهما قد دُرِسَتْ، ليس بينَهما بيِّنةٌ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (إنَّما أنا بَشَرٌ وإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ ألْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قَضَيْتُ له مِن حَقِّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإنَّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّارِ.) (صحيح البخاري).

٤٩-فضول الكلام

القاعدة التاسعة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي فضول الكلام؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثار النهي عنها.

مفهوم فضول الكلام:

فضول الكلام هو الخوض فيما لا يعني، فيكون الكلام فيما يعني على قدر الحاجة، فإذا أمكن تأدية المطلوب بكلمة واحدة فذُكِر كلمتين، فالثانية فضول، أي فضل عن الحاجة.

والنهي عن الفضول يرجع بالدرجة الأولى إلى أن رأس مال العبد أوقاته؛ فإن صرفها فيما لا يعنيه، ولم يعُدْ عليه بنفع في الدنيا، ولم يدخر به ثوابًا في الآخرة فقد ضيَّع رأس ماله، ولا يجني يوم القيامة إلا الحسرة والندامة.
ويقول ابن القيم رحمه الله: وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر، كلها مداخل للشيطان؛ فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حربٍ جرتها كلمة واحدة.

وقد يُحمد الفضولُ مِن الطفل الصغير؛ لأنه يُحاول توسيعَ مَداركِه، كما يُحمَد مِن طالب العلم إذا أراد أن يَستزيد من العلم الذي يتعلَّمه، ويُحمد من الوالي إذا أراد التعرُّف على أحوال الرعية، ويُحمد من القاضي إذا أراد تَتبُّع خيوطِ جريمة ليعرف الجانيَ والمجنيَّ عليه.

أدلة النهى عن فضول الكلام:

- (لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١١٤).
- (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) (الإسراء: ٣٦).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) (المائدة: ١٠١).
- قال صلى الله عليه وسلم: (من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه) (سنن الترمذي).

أثار النهي عن فضول الكلام:

صيانة اللسان: اللسان هو العضلة التي يعبر بها الإنسان عما بداخله، ولذا فهو من أهم الجوارح التي توصل صاحبها إما إلى النجاة وإما إلى الهلكة. ولذلك قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق: ١٨). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيْرًا، أو لِيَصْمُتْ) (صحيح البخاري) وقال صلى الله عليه وسلم :(كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ) (صحيح مسلم).

التكلم فيما يفيد: قد يتكلم المرء فيما لا يحسـنه ولا يتقنه، مما لا يعرف له تخصص فيه ولا سابق إلمام أو خبرة به، ولم يكن مطلوبًا منه التحدث أو إبداء الرأي فيه، وما ذلك إلا لطلب التسلي وإضاعة الوقت وتصدر المجالس وصرف الأنظار إليه، وقد يخرج به ذلك إلى الخوض فيما لا يجوز الخوض فيه من أحاديث الفواحش والشهوات ووصف العورات، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، وبث الشائعات والأكاذيب والأخبار المفتريات، وكل ذلك مما لا يصح تتبعه، ولا الخوض فيه، ولا الاستناد إليه، ولا الاغترار به، ولا العمل بمقتضاه.

ترك المرء مالا يعنيه: ومَن عبَد الله على استحضار قربه من ربه أو قرب ربه منه، فقد حسن إسلامه، ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام، واشتغل بما يعنيه من صحة اعتقاد وكمال إيمان وصلاح عمل، وطلب ما هو من ضرورات معاشه، لا قيام لحياته بدونه من ألوان المباحات، وعلى العكس من ذلك، مَن أضاع نفائس الأوقات فيما لم تُخلَق له باشتغاله بما لا يعنيه، فانصرف به عما ينفعه ويرتفع بمقامه ويبلغ به صحيح الغايات وشريف المقاصد وكريم المنازل، فخسر هنالك خسرانًا مبينًا.

تعلم ما يفيد: ومن اشتغال المرء بما لا يعنيه :تعلُّم ما لا يهم في العلوم، وترك الأهم منها مما فيه صلاح قلبه، وتزكية نفسه، ونفع إخوانه، ورفع شأن وطنه وأمته، ومنه أيضًا عدم حفظ اللسان عن لغو الكلام، وعن تتبع ما لا يهم ولا ينفع تتبعه من أخبار الناس وأحوالهم وأموالهم ومقدار إنفاقهم وادخارهم، ومن إحصاء ذلك عليهم، والتنقيب عن أقوالهم وأعمالهم داخل دورهم وبين أهليهم وأولادهم، بغير غرضٍ شرعي، سوى الكشف عما لا يعني من خاص أمورهم وخفيِّ أحوالهم.

١٠ـ الغضب

القاعدة العاشرة من القواعد الناهية عن سلوك الجماعة هي الغضب؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الغضب:

الغضب هو: ثَوَرَان في النفس، يَحمِلها على الرغبة في البطش والانتقام. والغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة قلَّ ما يتمكن منه إلا اغتاله.

والغضب من الصفات التي ندر أن يسلم منها أحد بل ترك الغضب بالكلية صفة نقص لا كمال. فهناك غضب محمود وهو ما كان لله ولِحُرُماته، ولم يكن للنفس فيه نصيب؛ فالمؤمن يغضب إذا انتهكت حرمات الله، واعتدي على حقوقه. وما أكثر ما تنتهك محارم الله تعالى في هذا الزمان علنا وسرا، فكثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لا همَّ لها سوى نشر الرذيلة، ومحاربة الفضيلة، وإشاعة الفاحشة، وبث الشبهات، وتزيين المنكر، وإنكار المعروف، والاستهزاء بالدين وشعائره فهذا كله مما يوجب الغضب لله تعالى. ومن الغضب المحمود الغضب لما يحدث للمسلمين من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، وتدمير للبلدان بلا حق.

ونبينا صلى الله عليه وسلم -وهو القدوة والأسوة لنا في أمورنا كلها -لم يغضبْ لنفسه قط، ولم يضع للدنيا في خاطره شيئًا يساوم فيه الناس ويُحاكمهم، وإنما كان غضبه إذا تجاوز أحد حدًا من حدود الله أو تعدى إنسان على حرمة لله.

أما الغضب المذموم؛ فهو ما كان في غير الحق ولغير الله، وإنما انتقاما للنفس في أمور تافهة وحظوظ دنيوية زائلة، مما تترتب عليه نتائج خطيرة ومفاسد عظيمة، على الإنسان ذاته وعلى أسرته وعلى مجتمعه، وهو الذي حذرنا منه الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، ومناسبات عدة.

والغضب في غير الحق مفتاح كل شر، مفتاح للقتل، والنزاع والشقاق، والطلاق، والظلم بجميع أنواعه؛ ظلم للزوجة، وظلم للأبناء، وظلم للوالدين، وظلم للأقارب، وظلم للمستخدمين، وظلم للناس أجمعين.

وللغضب أحوال ثلاثة:

- حال الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه أو دِينه أو عِرْضه أو ماله، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى وتقويض نظام المجتمع، لكن غضبه هذا ينبغي أن يكون مقترنًا بالحكمة والمعرفة والعقل الرَّشيد.
- أن يزيد الغضب عن الاعتدال، بأن يضعف الإنسان أو يفقد الحِلْم بالكليَّة، وهذه الحال مذمومةٌ شرعًا، لا سيَّما إن تعلَّقت بانتهاك حرمات الله.
- أن يطغى الغضب على العقل والدِّين، وربَّما جرَّ صاحبه إلى ارتكاب جرائم كبيرة، وموبقات كثيرة.

أدلة النهي عن الغضب:

- (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى:٣٧).
- روى أبو هريرة رضي أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل، قال: (لا تغضَبْ) (صحيح البخاري).
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ) (صحيح البخاري).

آثار الغضب:

نظراً للآثار الخطيرة للغضب نبيّن بعض طرق علاجه أو تسكينه:

- الاستعاذة بالله من الشيطان: قال تعالى (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت:٣٦).
- تغيير الحال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا غضب أحدُكم وهو قائمٌ فلْيَجْلِسْ، فإن ذهب عنه الغضبُ وإلا فليضطجِعْ) (سنن أبي داود).
- السكوت وضبط اللسان عن الكلام أثناء الغضب؛ لأن الغاضب لا يتحكم في كلماته، لا يدري ما يقول، ولا يتأمل في عواقب كلامه، فالسكوت أسلم له من الكلام حتى يهدأ غضبه. لذا قال عليه الصلاة والسلام: (علِّموا ويسِّروا ولا تُعسِّروا وإذا غضِب أحدُكم فليسكُتْ) (مسند أحمد).

- قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى " ومن الأمور النافعة أن تعلم أن أذية الناس لك وخصوصا في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تصنع لها بالا، لم تضرك شيئا".
- الظفر بمحبة الله تعالى، والفوز بما عنده قال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران:١٣٤) ومرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الدين.
- الإكثار من ذكر الله تعالى، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:٢٨) فمن اطمئن قلبه بذكر الله تعالى كان أبعد ما يكون عن الغضب قال عكرمة -رحمه الله تعالى -في قوله تعالى (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) (الكهف:٢٤) " إذا غضبت ".
- النظر في نتائج الغضب: فكثير الغضب تجده مصابا بأمراض كثيرة كالسكري والضغط والقولون العصبي وغيرها مما يعرفها أهل الاختصاص، كما أنه بسببه تصدر من الغاضب تصرفات قولية أو فعلية يندم عليها بعد ذهاب الغضب.
- أن تعلم أن القوة في كظم الغيظ ورده: تذكر قوله صلى الله عليه وسلم: (ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ) (صحيح البخاري).
- قبول النصيحة والعمل بها: فعلى من شاهد غاضبا أن ينصحه، ويذكره فضل الحلم، وكتم الغيظ، وعلى المنصوح قبولُ ذلك.
- أخذ الدروس من الغضب السابق: فلو استحضر كل واحد منا قبل أن يُنفذ غضبه الحاضر ثمرةَ غضبٍ سابقٍ ندم عليه بعد إنفاذه لما أقدم على ما تمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء مرة ثانية، فمنع الغضب أسهل من إصلاح ما يفسده.
- معرفة أن المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة فتركه إغلاق لباب من أبواب العصيان.

ثالثا: القواعد الأخلاقية لسلوك المدير

يعتمد ســـلوك المدير بالدرجة الأولى على فهمه لحقيقة النفس الإنســـانية. وتُعتبر المهارات الســـلوكية، ذات أهمية كبيرة لنجاح المدير في جميع المستويات الإدارية.

وتتطلب هذه المهارات أن يراعي المدير متطلبات الشخصية الناضجة من العاملين معه، فيعمل على أن تكون الوظيفة غنية بالخبرات المتعددة في مجال التخصص، حتى يستفيد من قدرات العاملين وينمي مواهبهم. كما يجب على المدير في ممارساته القيادية أن يشرك العاملين معه في صنع القرارات ليتجنب سلبيتهم، ويشاورهم في الأمور ليستفيد من قدراتهم وخبراتهم، ويتجنب تنصلهم من المسئولية، ويعطيهم القدوة الحسنة لتنمية الرقابة الذاتية في نفوسهم. ويأخذ في اعتباره العوامل التي تؤدى إلى رضاهم عن عملهم، وتلك التي تؤدى إلى عدم رضاهم، ويكون ذلك ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، ويقودهم لجعل رضا الله هو غايتهم بعد أن يصبح ذلك غايته هو.

والمدير المسلم لا يعرف السلطة المطلقة، ولا القيادة المتراخية غير المبالية، بل قيادته سوية قائمة على الشورى ملتزمة بكل ما جاء في الأخلاق الإسلامية. ويستفيد المدير المسلم من نتاج العقل البشري بما يتناسب مع ما جاء في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيأخذ بالخطوات المنطقية في تحليل وصنع القرارات، ويسأل نفسه كل الأسئلة التي تؤدي إلى صنع قرار جيد فعال.

والمدير المسلم لا يقيم علاقات مع الناس من منظور مادي بحت. فلا تتوقف هذه العلاقات على ما يتوقع من عائد مادي -كما جاء في الكثير من النماذج الغربية لسلوك المدير-بل يميز المدير بين العلاقات التي تقتضيها الأخوة الإنسانية بصفة عامة والأخوة الإسلامية بصفة خاصة، والعلاقات الفنية التي تقتضيها طبيعة العمل فلا يكون الاهتمام بالناس على حساب العمل ولا الاهتمام بالعمل على حساب الناس. فالاهتمام بالناس أمر ثابت تقتضيه الأخوة الإنسانية، والاهتمام بالعمل أمر تقتضيه أمانة العمل. فطبيعة العمل هي التي تحدد التدخل والإشراف على الجوانب الفنية، ولذلك ليس هناك نمط إداري واحد يصلح لجميع الأعمال بل لابد من التمييز بين طبيعة الأعمال ومستوياتها الإدارية في التنظيم وبين متغيرات الموقف.

والمدير المسلم معلم وداعية وقدوة حسنة، يحرص على استقرار العمل واستقرار العاملين ويربطهم بالعمل بما يحقق ذواتهم ويوصلهم إلى نيل رضا الله سبحانه وتعالى. وعدة المدير في ذلك التمسك بالأخلاق الإسلامية بجانب خبراته، ومهاراته الفنية والعقلية والسلوكية. والتمسك بهذه الأخلاق لا يؤسس في المجتمع الإسلامي بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، فغرس الأخلاق الإسلامية في النفوس يحتاج إلى تربية جادة ومستمرة. ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله "ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيئ لا يترك في نفس من حوله أثراً طيباً. وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه ويسبيها نبله، وتقتبس -بالإعجاب المخلص -من خلاله، وتمشى بالمحبة الخالصة في آثاره".

تتضمن القواعد الأخلاقية التي يجب أن يتماسك بها المدير كل القواعد التي ذكرت في سلوك الأفراد وسلوك الجماعات، ويضاف إليها مجموعة للقواعد الآمرة وأخرى للقواعد الناهية.

المجموعة السادسة: القواعد الآمرة لسلوك المدير

تتكون القواعد الآمرة لسلوك المدير من عشرة قواعد تضاف إلى القواعد الخمسين السابقة. والقواعد العشرة هي:

٥١-العدل
٥٢-الشورى
٥٣-نشر العلم
٥٤-اختيار البطانة الصالحة
٥٥-تجنب الفساد
٥٦-حسن الاستماع
٥٧-الأخوة
٥٨-الإقناع بالحسنى
٥٩-العفو
٦٠-الحلم

وتركز كل قاعدة على ثلاثة أمور:

- المفهوم العام للقاعدة.
- الدليل الشرعي لوجوب القاعدة؛ حيث يتم عرض نماذج من الأدلة وليس حصراً لها.
- ثمار القاعدة.

١٥-العدل

القاعدة الأولى من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي العدل؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم العدل:

يرتبط مفهوم العدل بمفهومات القسط والإنصاف والمساواة:

فالعدل: هو استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير. والعَدلُ أيضاً هو الاستِقامَة على طريقِ الحَقّ بالاجتِناب عمَّا هو مَحظورٌ ديناً.

ومن العَدلِ العَدالَةُ، وهيَ مَلَكَةٌ تؤدِّبُ صـــاحبها وتَحمِلُهُ على الفضـــائِلِ، والاستقامةِ، والتَّوسُّطِ من غيرِ إفراطٍ ولا تَفريطٍ ولا اجحافٍ ولا تَفضيل.

والقسط: هو العدل البيّن الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطًا، والميزان قسطًا.

والإنصاف: هو إعطاء النصف، والعدل يكون في ذلك وفي غيره.

والمساواة: هي التسوية بين شيئين وقد لا تكون من العدل. فلا يصح القول بأن العدل هو المساواة، لأن الحكمة قد تقتضي التفريق بين شيئين، فمثلًا ليس من العدل التسوية بين المرأة والرجل في كل شيء؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- فطر المرأة والرجل وجعل لكل منهما ما يناسبه من الحقوق والواجبات.

عرف ابن القيم -رحمه الله-العدل بأنه: "ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب".

أدلة وجوب العدل:

- (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:٩٠).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُـهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُـــوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء:١٣٥).
- (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعام: ١٥٢).
- (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف:١٨١).

- (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى:١٥).
- (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) (الرحمن: ٧-٩).
- (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥).
- قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما ولوا) (صحيح مسلم).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) (صحيح البخاري).

ثمار العدل:

العدل من القيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية وغيرها. وهو قيمة مطلقة لا يدخلها التقييد، فالعدل يشمل السلوك الإنساني كله، في الفكر والتصور، والقول والعمل، مع المسلمين وغير المسلمين، مع المؤيدين والمعارضين، فهو سنة ربانية، وفريضة شرعية، وضرورة إنسانية، وقيمة حضارية، عليه تقوم الحضارات، وتسعد به الشعوب والأمم، وبه تصلح جميع الأعمال. ولذلك أمرنا الله تعالى به أمرًا مطلقًا، ونهانا عن ضده، فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:٩٠).

ومِن سِمات العَدل في الإسلام أنّهُ لا عاطفةٌ فيه؛ فلا يتأثَّر بمالٍ أو عرقٍ أو نَسَب، وفي التَّاريخِ الإسلاميِّ أمثلةٌ تُبرهِنُ على صِدقَ الصِّفةِ وشُمولِها؛ ومِن

ذلكَ حادِثةُ المرأةِ المخزوميَّةِ التي سَرقَت في عَهدِ رَسولِ اللهِ عليهِ الصَّلاة والسَّلام، فَفَزِع قومُها إلى أسامَةَ بن زيدٍ يَستشفِعونَه، قال عُروةُ: فلمَّا كَلَّمَهُ أسامةُ فيها تَلوَّن وَجهُ رسولِ اللهِ صلَّ اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقال: (أتكلِّمُني في حدٍّ من حدودِ اللهِ؟). قال أسامة: استغفِرْ لي يا رسولَ اللهِ، فلمَّا كان العَشيُّ قامَ رسولُ اللهِ خطيباً، فأَثنى على اللهِ بِما هو أهله، ثم قال: (أمَّا بَعدُ، فإنَّما أهلَكَ النَّاس قبلَكم أنَّهم كانوا إذا سَرَقَ فيهِم الشَّريفُ تركوهُ، وإذا سَرَق فيهم الضَّعيفُ أقاموا عليهِ الحدَّ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو أنَّ فاطِمةَ بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدَها). ثم أمَر رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بتلك المرأةِ فقُطعت يدُها، فَحَسُنت توبتُها بعد ذلك وتزوّجَت. قالت عائشةُ: فكانت تأتي بعد ذلكَ، فأرفَع حاجَتها إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) (صحيح البخاري).

وكما قيل: " إن الله يقيم الدولة الكافرة مع العدل، ويهلك الدولة المسلمة مع الظلم ".

٢٥-الشورى

القاعدة الثانية من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي الشورى؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم الشورى:

الشورى هي استخراج الرّأي وتقليبه، أيْ طلب الرأي من أهل الاختصاص، وإطالة النّظر فيه للوصول إلى الرّأي الصّائب، عن طريق تبادل الآراء في أمر من الأمور؛ لمعرفة الصّـــالح منها، والتّأكّد من أنّ هذا الرّأي يُناســـب الحال.

اختلف العلماء في نتيجة الشورى، أمُلزمة هي أم لا؟ وقد مال معظمهم إلى أنها ملزمة. وباستعراض الأحداث التي مرت وتمت بشأنها الشورى في أيام النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-والخلفاء الراشدين نرى أن الشورى ذات طبيعة تنويرية وتبصيرية للإمام، وأنها تعينه على تبيّن جميع جوانب المسألة من أجل الوصول إلى اتخاذ القرار المناسب بشأنها. وليس من الضرورة أن يكون القرار المتخذ هو ما اقترحه المستشارون.

وتدل النصوص الواردة في الكتاب والسنة عن الشورى على الآتي:

- إنّ الشورى مبدأ إسلامي عام لا يختصّ فقط في المجال السياسي بل حتى في الحياة الاسرية والاجتماعية.
- إنّ للشورى مجالان، الأول: مشورة الحاكم المسلم للمسلمين في الأمور المتعلقة بهم، والثاني: مشورة المسلمين فيما بينهم على إدارة شؤونهم، فهي دعوة الطرفين إلى الشورى، طرف الحاكم وطرف الرعية.
- مبدأ التشـــاور قائم في الأمور المتعلقة بشـــؤون المســـلمين دون الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص.

أدلة وجوب الشورى:

- (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران:١٥٩).
- (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الشورى:٣٨).

- (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة:٢٣٣).
- قال صلى الله عليه وسلم: (المُستشارُ مُؤتمنٌ) (سنن الترمذي).

ثمار الشورى:

أمر الله تعالى نبيه الكريم -عليه الصلاة والسلام-بالمشاورة وهو الذي كان الوحي يسدده، غير أن الحكمة من ذلك هي إرشاد المسلمين إلى هذا المبدأ، فإذا كان النبي المعصوم مأمورًا بها فمن باب أولى أن يكون غير المعصومين ملزمين بها في إدارة شؤونهم العامة والخاصة.

وتطبيق الشورى في معظم الأحوال دليل على كمال العقل ونبله، لاكما يظن البعض أنه ضعفا وعدم استطاعة تصرف، فالعاقل لا يكتفي برأيه، بل يتهم عقله، إذ لو كان يستغني عن الشورى أحد لاستغنى عنها ذا العقل الراجح والقول الصائب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ثمار الشورى للفرد والمجتمع ما يأتي:

- ترسيخ مفهوم المشاركة مع المسؤول في صنع القرار، وتحمّل مسؤوليّة البحث عن الرّأي الأصلح والأصوب.
- إيجاد التلاحم القوي بين الأفراد والمسؤول، وزيادة الشّعور بالانتماء.
- تحقيق الاطمئنان على فعل الصّواب، ممّا يُقلّل من عمليّة الخوف والتّوتّر، ويُساعد على إنجاح مبدأ الشّورى والالتزام به.
- الشّورى عامل من عوامل إنضاج الفكر والرأي العام، حيث تسهم في تكوين الرّأي الرّشيد الذّي يُساعد على الاستقرار، والقضاء على السّلبيّة واللّامُبالاة التي تنتشر بين كثير من أفراد المُجتمع.
- ومن ثمار الشّورى الحماية من القرارات الخاطئة؛ مما يؤدّي إلى النّجاة من المصائب مع الحفاظ على رضا الرّأي العام.

٥٣-نشر العلم

القاعدة الثالثة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي نشر العلم؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم نشر العلم:

نشر العلم يتضمن بلاغ العلم وبيانه للناس؛ والعلم الذي يجب نشره هو:

- كل علم ديني مع وسائله التي تعين على إدراكه؛ فيجب نشره ولا يجوز كتمانه.
- كل علم دنيوي تحتاجه الأمة، وتتوقف عليه حياتها، كالطب والزراعة والصناعة والعلوم التقنية والعسكرية ونحوها، وتدخل هذه العلوم في فروض الكفاية. والكفايات من العلوم يجب نشرها لمن يرتفع بهم الإثم، ولا يجب في غيرهم، ومع هذا فيبقى أن الأفضل هو نشر هذه العلوم لمن ينتفع بها، من باب الإحسان إلى الخلق والتيسير عليهم ومحبة الخير لهم.

أدلة وجب نشر العلم:

- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة: ١٥٩، ١٦٠).
- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (لبقرة: ١٧٤).
- (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) (آل عمران: ١٨٧).
- (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة: ٦٧).
- (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) (الزمر: ٩).
- (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه: ١١٤).

- (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: ٢٨).
- (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: ١١).
- قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (إنَّ الله وملائكتَه وأهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها، وحتَّى الحوتَ، ليُصلُّونَ على مُعلِّمي النَّاسِ الخيرَ) (صحيح الترمذي).
- قال صلى الله عليه وسلم:(بلِّغوا عنِّي ولو آيةً) (صحيح البخاري).
- وقال عليه الصلاة والسلام: (من سُئِلَ عن علمٍ فكتمه ألجمَه اللهُ بلجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ) (سنن أبي داود). ويراد به هنا العلم الشرعي.
- قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ) (صحيح ابن ماجه).

ثمار نشر العلم:

يحتل العلم مكانة عظيمة في الإسلام، فقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم بالحث على القراءة التي هي مفتاح العلم والتعلم، كما جعل الإسلام العلم الشرعي فريضة على كل مسلم، وهو سبب من أسباب الوصول إلى الجنة حيث من سلك طريقاً للعلم سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وقد فضل الله تعالى العلماء على من سواهم من الناس، فهم أخشى الناس لله وأتقاهم له، وهم ورثة الأنبياء حيث لم يورث الأنبياء مالاً، وإنما ورثوا علماً من أخذه أخذ بحظ عظيم وافر. والعالم في الإسلام أفضل من العابد، ومعلم الناس القرآن من خير الناس وأفاضلهم، وقد رتب الله له أجر كل من اتبع هداه وعلمه إلى يوم القيامة.

الأوْلى بالمسلم أن يجمع بين تعلم العلم الشرعي والعلوم الدنيوية كما كان الأئمَّة السَّابقون، ولِما في ذلك من الجمْع بين جلْب المصالح له، فدراسةُ العلوم الدنيويَّة ليستْ منافيةً للتفقُّه في الدين، فلا تُترك العلوم الدنيوية بدَعوى الانشغال بالدين، ولا تُترك العلوم الشَّرعية بالانهماك في الدنيا.

وسئل الفضيل بن عياض عن قوله صلى الله عليه وسلم: (طَلَبُ العِلْمِ فَريضةٌ على كلِّ مُسلِمٍ)، فقال: "كل عمل كان عليك فرضاً، فطلب علمه عليك فرض، وما لم يكن العمل به عليك فرضاً، فليس طلب علمه عليك بواجب"

ثمار نشر العلم كثيرة نذكر منها الآتي:

- الحصول على رضا الله تعالى، واتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- بالإقبال على العلم، والوصول إلى ما فيه من أسرار، ثمَّ الحرص على تعليمها للناس؛ لتحقيق فضيلة العلم.
- من سار في درب العلم سهل عليه طريق الجنّة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ) (صحيح مسلم).
- تنعُّم طالب العلم بدعاء أهل السماوات والأرض له بالخير، فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-أنَّ جميع الكائنات تدعوا لطالب العلم، حتى النملة التي تُعد من أضعف الكائنات أُلهمت الدعاء لهم بالخير.
- العلم ينفع بعد الموت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له) (صحيح مسلم).
- تمكين الإنسان من الوقوف في وجه الشبهات ودحضها بالحجة والمنطق السليم.
- العلم مهذب للنّفوس: العلم يهذِّب الأخلاق ويربّي صاحبه على اكتساب الفضائل والآداب.
- بالعلم تحي القلوب: قال لقمان لأبنه يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإنّ الله يحي القلوب الميتة بالحكمة كما يحي الأرض الميتة بمطر السّماء.
- العلم يورث الخشية من الله تعالى: قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (فاطر: ٢٨).
- العلم نور البصيرة: يبصر به المرء حقائق الأمور، وليس البصر بصر العين ولكن بصر القلوب. قال تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦).
- الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الأئمة والدّعاة والعلماء، قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) (الفرقان: ٥١-٥٢)

٥٤-اختيار البطانة الصالحة

القاعدة الرابعة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي اختيار البطانة الصالحة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم اختيار البطانة الصالحة:

بطانة الانسان هم خاصته الذين يطلعون على داخل أمره. وما من إنسان إلا وله بطانة وكثير منهم يختار بطانته واخرين تفرض عليهم بخبث وذكاء ودهاء.

فسواء أكنت رئيساً أم مرؤوسا، مأموراً أم آمراً، فلا بد أن يكون لك أصحاب تقربهم إليك، وتستأنس بهم، وتشاورهم في كثير من أمورك، وهؤلاء هم بطانتك، وقد غلب استعمال لفظ (البطانة) مع الأمراء، وقد فسّر ابن حجر البطانة: بالدخلاء، جمع دخيل: (وهو الذي يدخل على الرئيس في مكان خلوته، يفضي إليه بسره، ويصدقه فيما يخبره به مما يخفى عليه من أمر رعيته، ويعمل بمقتضاه).

والبطانة الصالحة هي التي تذكره إذا نسي وتعينه على الخير وتنهاه عن الشر.

أدلة وجوب اختيار البطانة الصالحة:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران: ١١٨).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بَعَثَ اللَّهُ مِن نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِن خَلِيفَةٍ، إلَّا كَانَتْ له بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعروفِ وَتَحُضُّهُ عليه، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عليه، فَالْمَعْصُومُ مَن عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى) (صحيح البخاري).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا أراد اللهُ بالأميرِ خيرًا جعَل له وزيرَ صِدْقٍ: إنْ نسي ذكَّره وإنْ ذكَر أعانه وإذا أراد اللهُ به غيرَ ذلك جعَل له وزيرَ سَوْءٍ: إنْ نسي لم يُذكِّرْه وإنْ ذكَر لم يُعِنْه) (سنن أبي داود).

ثمار اختيار البطانة الصالحة:

كثيراً ما نرى من أهل الصلاح من يزلّ زلات، إنما استدرجته إليها بطانة فاسدة، زينت له الباطل، وحجبت الحق عن عينيه، ومسؤولية أحدنا تبدأ من حسن الاختيار للأصحاب، فالصاحب دليل على صاحبه، إذ أن النفوس المتماثلة تتجاذب فيما بينها، كما بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (المرءُ على دينِ خليلِهِ فلينظُر أحدُكم من يُخالِلْ) (سير أعلام النبلاء)، لأن أية صحبة لا تخلو من تأثير وتأثّر.

ومن ثمار البطانة الصالحة أنها تحول دون شر كبير، وتحض على خير كثير، ومن خطورة البطانة ـ إذا فسدت ـ أنها قد تحسّن القبيح، أو تقبّح الحسن؛ بالوسوسة والتظاهر بالإخلاص.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يُطْلعونهم على سرائرهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خَبَالا أي: يَسْعَوْنَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعْنتُ المؤمنين ويخرجهم ويَشُقّ عليهم.

٥-تجنب الفساد

القاعدة الخامسة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي تجنب الفساد؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم تجنب الفساد:

الفساد نقيض الصلاح؛ وهو خروج الشيء من المباح إلى الكراهة والتحريم سواء أكان الخروج عليه قليلا أو كثيرًا، وكل اعتداء على الدين، أو العقل، أو المال، أو العرض، أو النفس فهو إفساد. والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لغرض مذموم. والإفساد أشمل وأعم من الظلم، لأن الظلم هو النقص، فمن سرق من مال الناس فقد نقص حق غيره فقط، وأما من أفسد في أموال الناس فإنه يقع على هذا وعلى غيره.

ونرى الفساد في المجتمعات العربية المعاصرة أصبح ثقافة، وأصبح شيئاً مشتركاً بين كثير من الناس، فالأنظمة الفاسدة تنتج منظومة متكاملة للفساد وتديره وتجعله مستمراً من أعلى الهرم إلى كل المفاصل، ليكون مشتركاً فلا يجرؤ الصغير على محاسبة الكبير، فيعم الفساد ويصبح هيّناً، ولا يسأل أحد عن فعل الآخر.

ويمكن أن نميّز بين خمسة أنواع للفساد:

- إفساد النفس بالإصرار على المعصية والذنب والتولي عن الحق والإعراض عنه، وفعل المحرمات ومخالفة أوامر الله عز وجل.
- إفساد الذرية والأتباع والأولاد حيث أنهم يقتدون بالكبار ويقلدونهم في مساوئهم.
- إفساد الدائرة المحيطة بالمفسدين عن طريق بث أخلاق وصفات ودعاوى الفساد، وذلك بالإسراف في المعاصي حتى يتعدى أثرها إلى غير أصحابها.
- إفساد الدائرة الأوسع في المجتمعات عن طريق إشاعة الأمراض الاجتماعية المفسدة بواسطة المضلين مثل إثارة فتن الشبهات والشهوات، والوقوف في وجه المصلحين وإحداث العقبات في طرقهم زعماً بأنهم يقفون ضد مصالح الناس.

- الإفساد الناشئ عن فساد الحكام والقادة والزعماء، وهو الفساد الأكبر، لأن الكبراء إذا فسدوا في أنفسهم فإنهم ينشرون الفساد بقوة نفوذهم واستخدام سلطاتهم وقوتهم.

ويستلزم تجنب الفساد التوجه إلى الإصلاح؛ ويمكن ان يبدأ على مستوى الفرد ثم ينتقل إلى مستوى الأسرة ثم الحيّ ثم المؤسّسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

أدلة وجوب تجنب الفساد:

- (وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) (الأعراف ٥٦).
- (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (الأعراف: ٧٤).
- (وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ) (الأعراف ١٤٢).
- (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم ٤١).
- (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: ٢٠٥).
- (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) (البقرة:١١ – ١٢).
- (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْـــرِفِينَ، الَّذِينَ يُفْسِـــدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (الشعراء:١٥٠ – ١٥٢).
- (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) (هود: ٨٥).

ثمار تجنب الفساد:

الإسلام ذاته ثورة ضد الفساد، بدءاً من فساد العقيدة؛ فقد جاء ليحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وجاء ليقضي على الأخلاق الذميمة والعصبيات الجاهلية، وينشر بدلا منها الأخلاق القويمة الحميدة، وتكون العصبية للدين وحده. جاء ليقضي على كل مظاهر الفساد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويؤصل بدلا منها كل ما هو حسن وكل ما من شأنه أن ينهض بالأمة ويجعلها رائدة العالم كله.

للفساد أسباب متعددة، ينبغي تحديدها، والبحث عن أساليب علاجها، حتى يمكننا جني ثمار تجنب الفساد ومحاربته.

ونوجز فيما يأتي أسباب الفساد وأساليب علاجه. ونميز بين الأسباب الرئيسة للفساد التي توجد في كل المجتمعات، والأسباب التي ترتبط بالبيئة والظروف.

الأسباب الرئيسة للفساد:

- ضعف الإيمان والوازع الديني، فالنفس الخاوية من الإيمان، التي لا تخشى الله ولا رسوله، لا تبالي بارتكاب المحرمات، ولا تخشى من العقاب الرباني على الفساد في الأرض؛ فيصير الفساد عادة والصلاح منكرا.
- إتباع الهوى وانتشار الأخلاق الفاسدة، مثل الكذب، والنفاق، والرياء، والغلظة، وسوء الظن، وعدم الوفاء بالعهود والعقود، وخيانة الأمانة والرشوة والمحسوبية والاحتيال.
- ضعف السلوكيات الطيبة، وانتشار المادية بين الناس وتفكُّك عرى التكافل والتضامن الاجتماعي، وانتشار الأنانية والحقد والكراهية، وانتشار الفقر وانعدام المساواة ين الناس.
- الحكم بغير ما أنزل الله والتسلط على الناس وكبت الحريات، وتطبيق نظم وقوانين وضعية تخالف شرع الله عز وجل.
- فقدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يعتبر صمام أمان للمجتمع من الفساد فإذا غاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشي الفساد وانتشر.

أسباب مختلفة للفساد حسب البيئة والظروف مثل:

- التمسك بالسلطة.
- التفاوت الكبير في الأجور بين عامة الموظفين وكبارهم في الدولة بشكل يثير الحنق والغضب لدى البسطاء.
- شعور عامة الناس أنهم غرباء أو مواطنون من الدرجة الثانية لأنهم لا يتمتعون بأبسط حقوقهم الآدمية في المأكل والمسكن والعلاج.
- تغلّب علاقة النسب والقربى على الواجبات والالتزامات المطلوبة.
- انتشار مظاهر الجهل ونقص المعرفة بالحقوق والواجبات.
- قوة ترابط وتكاتف الفاسدين والمفسدين ودقة تنظيمهم واتساع نطاقهم.

- نشر المنكرات والدعوة إليها :مثل المخدرات، والتبرج، والسفور، ونشر الفاحشة بين الناس، وتحبيبهم لها، وتذليل الصعوبات التي تواجهها.

علاج ظاهرة الفساد:

لا يقتصر الأمر على التعامل مع نتائج الفساد؛ بل لابد أن يكون العلاج لأسباب الفساد، ويمكن أن يكون العلاج على النحو الآتي:

- تنمية الوازع الديني: لأن الفساد مخالفة صريحة للأوامر الإلهية، فيكون الوازع الديني هو الذي يمنع المرء من ممارسة الفساد وارتكاب جرائمه.
- علاج مشكلة الفقر: بتحقيق التنمية الحقيقية الشاملة؛ المرتكزة على الأوقاف، والزكاة وتحقيق التكافل الاجتماعي.
- تحقيق العدالة الاجتماعية: وهي إعطاء كل فرد ما يستحقه وتوزيع المنافع المادية في المجتمع، وتوفير متساوي للاحتياجات الأساسية، كما أنها تعني المساواة في الفرص؛ أي أن كل فرد لديه الفرصة في الصعود الاجتماعي.
- منع المسؤولين وذوي المناصب الكبرى من ممارسة التجارة: لأن ذلك لا يخلو من أحد أمرين، إن لم يكن الاثنان معاً: فإما أن ينشغل في تجارته ومتابعتها عن أمور واحتياجات المسلمين، وإما أن تحدث محاباة له في التجارة لموقعه.
- فتح قنوات الاتصال بين الوالي والرعية.
- النهي عن أخذ الهدايا والهبات للموظفين والمسئولين، فما الذي يدفع أي شخص إلى إعطاء هدية لموظف أو مسئول، إلا إذا كان يريد تحقيق مصلحة من ورائه.
- الرقابة والوقاية المجتمعية من الفساد (بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
- رقابة السلطة (الحسبة)، وتشمل مراقبة الأسواق العامة والموازين والمكاييل والمبايعات وأنواع الغش والتدليس والاحتكار... الخ
- تحقيق العدل والمساواة أمام القانون والقضاء.
- تشديد عقوبة الفساد بتطبيق حدود الله.

٥٦-حسن الاستماع

القاعدة السادسة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي حسن الاستماع؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم حسن الاستماع:

حسن الاستماع هو الإصغاء بنية فهم الآخرين، والنظر إلى الأمور من خلالهم، ومحاولة رؤية الأشياء بالطريقة التي يرونها بها، والتعرّف على مشاعرهم، وكأننا نتقمص شخصياتهم.

ويتطلب الأمر الهدوء والخشوع والانتباه ليرقى الاستماع إلى درجة الإنصات، الذي هو أسهل وأقصر وأسرع الطرق لاكتساب ثقة الآخرين وودهم ومحبتهم، وإفساح المجال للحوار البناء بين المتكلم والمستمع وهو الفيصل بين الفهم وسوء الفهم.

فالحوار يعكس الاهتمام بالآخر، وهو فعل غير أناني يسمح بالتخلص من العزلة والدخول إلى دائرة الصداقة والدفء الإنساني؛ ويمكّن من بناء العلاقات الناجحة؛ وهو الوسيلة المثلى للتدبُّر من أجل الفهم والعمل.

أدلة وجوب حسن الاستماع:

- (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) (الأنعام: ٣٦).
- (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (الزمر: ١٧، ١٨).
- (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأحقاف: ٢٩ – ٣٠).
- (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف: ٢٠).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ، وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (الأنفال: ٢٠ – ٢٣).

- (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان: ٤٤).
- قال عمرو بن العاص: "كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُقبِل بوجهِه وحديثِه على شرِّ القوم يتألَّفُهم، وكان يُقبِل بوجهِه وحديثِه عليَّ حتى ظننتُ أني خيرُ القوم". وإنَّ لكم في رسولِ الله لأسوةً حسنة.
- قال صلى الله عليه وسلم: (من أخلاقِ المؤمنِ حسنُ الحديثِ إذا حدَّث، وحُسنُ الاستماعِ إذا حدَّث، وحُسنُ البِشرِ إذا لقِيَ، ووفاءُ الوعدِ إذا وعَد) (ميزان الاعتدال).

ثمار حسن الاستماع:

النفس بطبعها تميل للكلام، لأنَه السبيل للتعبير الطبيعي عن الذات، ولكن التواصل لا يكون بإعمال الأفواه وإهمال الآذان، وعليه فالإنصات فن يصعب إتقانه إلا بعد الكثير من الجهد وترويض النفس وكبح جماح رغباتها. ونبيّن فيما يأتي أهم الأمور التي تؤدي إلى حصاد ثمار حسن الاستماع:

- إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، والاقبال بالوجه، والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول.
- من الأدب أن تنصت للحديث حتى إذا كنت قد سمعته مرات من قبل كأنك سمعته لأول مرة.
- ترقب الحديث وحُسن متابعتِه، يحمل روحَ المساواةِ والبُعد عن الاستعلاء والفوقية، وتجنُّب الجَزم بالانفرادِ بالحقِّ، والقَطع بمعرفةِ الصواب.
- إذا جالستَ العالمَ فأنصتَ، وإذا جالستَ الجاهل فأنصِتَ، ففي إنصاتِك للعالم زيادةُ علم، وفي إنصاتك للجاهل زيادة حِلم.
- استَمِع إلى صاحبك لتفهَمَ، لا لتَلتَقِطَ عَثراتِه، وتتبَّعَ زلاَّتِه، لا تسمع وأنت لا تَرغَب الفهمَ. إن استماعك لتتصيَّدَ الأخطاءَ خذلانٌ، بل هو عَمى وحِرمان من الحقّ، وضَرَرٌ عَلَى النّفسِ والقَلب والدين .
- لا تحمِل أحكامًا مسبقة، ولا قرارات مُقَولَبَة؛ بل كن مستَمِعًا جيِّدَ الإنصات لكل ما يقال ويُلقى.

- اعلم وتأكَّد أنَّ هناك أناسًا كثيرين لدَيهِم مِنَ الفطنة والفَهم والعِلم والبداهة أكثرُ مما عندك، وما يفوقُ تقديرَك، وحين تستَمِع فلا تتصنَّع المتابَعَة؛ فجَليسُك ذكِيٌّ نبِيه، فاحترِمه واحترِم نفسَك وأدَبَك، فاستمِع بيَقَظةٍ وفَهمٍ وابتغاء للحَق.
- حينما يكون المرءُ في ضيقٍ فإنَّه لا يجد الفرَحَ ولا الفَرَجَ إلاَّ عند من يحسِن الإنصاتَ إليه، والاستماعَ إلى شكواه؛ يواسيه ويسليه ويتولاَّه، يحِبُّ الناس المنصتَ؛ لأنَّه مغناطيس تنجذِب إليه القلوب، ويَلجَأ إليه الناس، يفرِّج همومَها وأحزانها.
- إذا أردتَ أن يحبَّك الناس: كنْ مستمعاً جيّداً، وشجِّع محدّثك على الكلام عن نفسه.
- إذا كنت تريد أن ينفضَّ الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظَهرك، فلا تُعطِ أحداً فرصةً الحديث، تكلّم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرتْ لك فكرة بينما غيركُ يتحدّث فلا تنتظر حتى يُتمَّ حديثه، فهو ليس ذكياً مثلك، فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟! اقتحم عليه الحديث، وقاطِعْهُ في منتصف كلامه."!
- يجب أن نفهم الآخرين أولاً ثم نحاول أن يفهمنا الآخرون.
- عدَمُ حُسن الاستماع يؤدِّي لِسوء الفهم، وسوءُ الفَهم يؤدّي إلى ضياع الأوقات والجهودِ والأموال والعلاقات، بل يمكن أن يؤدي إلى الاقتتال والدماء.
- تجنب الأمور التي تصـــرف عن الاســـتماعِ النافع وهي: الهوى والتعصب، الاستهزاءَ والاستخفافَ، عدم الاكتراث والسخرية، عدم التركيز والاضطراب النفسيّ، مقاطعة المتحدث ومسابقتَه في التنبُّؤ بما يقول، إظهار الملَل وعدم التحمل.
- لا تشتغِل بإعداد الردِّ أثناءَ الاستمتاع، فهذه صفة تغلب علينا جميعًا، كيف سيكون الرد وأنت لم تحسن الاستماع، إلا إن كنت صاحب هوى، تريد أن تدافع عن هواك.

٥٧-الأخوة

القاعدة السابعة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي الأخوة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم الأخوة:

الأخوّة لغة هي الرابطة المتينة الموثقة، تربط بين شخصين أو أكثر، يجتمعون تحت ظلّها بسبب وجود قواسم مشتركة بينهم، كالنسب، أو الرضاع، أو الوطن، أو الأعمال، أو القبيلة، أو الدين، وتتصف بالملازمة والمداومة، أما الأخوّة الإسلامية فتختلف عمّا سبق من كونها قائمة على رابط شرعي ربانيّ، وثيق ودائم، يجتمع تحت مظلته المسلمين جميعًا في كل مكان وكل ناحية من هذا العالم.

الأخوة في الله، والحب في الله: أي محبة المسلم لما فيه من خصال الخير والطاعة لله تعالى، فليست لأجل المال، ولا النسب، ولا الوطن، ولا غير ذلك.

أما الأخوة الإنسانية فتأخذ فقط من قول الحق سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١). فالله سبحانه خلق الناسَ جميعًا من نفس واحدة وجعلهم مُتَساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ الإنسانية. فالآية خطاب للناس أجمعين مسلمين وغير مسلمين سواء كانوا أهل كتاب أم غير أهل كتاب، خطاب لهم بأن يتقوا ربهم سبحانه وتعالى، وتذكير لهم بأنهم جميعا أبناء رجل واحد هو أبوهم آدم عليه السلام.

الأدلة الشرعية لوجوب الأخوة الإسلامية:

- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات:١٠).
- (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر: ١٠).
- (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) (التوبة: ١١).

- (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣).
- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلِمُ أخو المسلِمِ لا يخونُهُ ولا يَكذِبُهُ ولا يخذلُهُ كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ عرضُهُ ومالُهُ ودمُهُ التَّقوى هَهنا بحسبِ امرئٍ منَ الشَّرِّ أن يحتقرَ أخاهُ المسلمَ) (سنن الترمذي).
- قال صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ) (صحيح مسلم).
- قال صلى الله عليه وسلم:(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ) (صحيح مسلم).
- قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي ذرٍّ: (يا أبا ذرٍّ أيُّ عرَى الإيمانِ أوثقُ؟ قال اللهُ ورسولُه أعلمُ قال الموالاةُ في اللهِ والحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ) (تخريج مشكاة المصابيح).

ثمار الأخوة الإسلامية:

الأخوَّة الحقيقيَّة تقوم على الإيمان والتَّرابُط في الله ولله، ليس من أجل منفعةٍ دنيويَّة عاجلة، أو مصلحةٍ شخصيَّة، أو عصبيَّة قبليَّة، أو غير ذلك من المادّيَّات، فما كان لله دام واتَّصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

ويترتب على هذه الأخوة جني ثمار كثيرة منها:

- أن يكون المسلم نصيرًا، ومعينًا لأخيه المسلم.
- ألا يظلم المسلم أخاه بأيِّ نوعٍ من أنواع الظلم وإن قَلَّ.
- أن ينصح المسلم أخاه المسلم في أمر دينه ودنياه.

- أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه.
- قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ :إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ) (صحيح مسلم).

وللمحبة في الله ثمار كثيرة منها:

- المتحابون في الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ قال صلى الله عليه وسلم: (سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه)، وذكر من بينها: (ورجُلَين تحابَّا في الله -عزَّ وجلَّ -اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه) (صحيح البخاري).
- محبة الله تعالى للمتحابين فيه؛ قال تعالى في حديث قدسي: (قَد حَقَّتْ محبَّتِي للَّذينَ يَتَحابُّونَ من أجْلِي، وقَد حَقَّتْ محبَّتِي للَّذينَ يتزاوَرُون من أجلِي، وقَد حَقَّتْ محبَّتِي للَّذينَ يتباذلُونَ من أجلِي، وقَد حَقَّتْ محبَّتِي للَّذينَ يتصادَقُون من أجلِي) (صحيح الترغيب). يتباذل: يضحي بنفسه في سبيل الغير.
- المتحابّون في الله في مكان يغبطهم عليه مَن هم في أفضلِ المنازل: النبيُّون والشهداء؛ قال تعالى في حديث قدسي: (المُتحابُّونَ في جَلالي لهم مَنابرُ مِن نورٍ يَغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهَداءُ) (سنن الترمذي).
- الحب في الله من أسباب دخول الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ) (صحيح مسلم).

٥٨-الإقناع بالحسنى

القاعدة الثامنة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي الاقناع بالحسنى؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم الاقناع بالحسنى:

الإقناع عملية تستخدم أساليب متنوعة للتأثير في الفكر والعاطفة (القبول، الرضا، الاطمئنان)؛ وينتج عنها تغيير في السلوك بالتعديل أو الترك أو الإتيان. فالإقناع يولد أثراً فكريّاً وسلوكيّاً إيجابيّاً في آن واحد.

ولا يقتصر الاقناع على توصيل المعلومة الصحيحة؛ بل يتعدى ذلك إلى الوصول إلى الالتزام بتطبيقها.

وقد تحصل قناعة بحجج قطعية دون أن يكون لها تأثير على السلوك، مما يتطلب الترغيب بالتشويق إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترهيب بما يخيف ويحذر من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

وقد يحصل تأثير سلوكي بإتيان سلوك أو ترك آخر دون قناعة في حالة فرض التغيير على الآخر بالإكراه. وقد يؤدي الضغط غير المنضبط إلى التأثير العكسي للمقصود الأصلي.

وتوجد أساليب للإقناع والتأثير تنحو إلى إحداث أثر في الآخر وتحقيق أهداف طرف على حساب الآخر دون الالتزام دائماً بالمصداقية في المحتوى، أو المراعاة للقيم في الأساليب، أو التحمل للمسؤولية في النتائج، كما نرى في بعض الإعلانات التجارية.

ويبنى الاقناع بالحسنى على الود والألفة مع مراعاة المصداقية والقيم النبيلة؛ حتى يكون التغيير والتقويم بيسر ورضا، دون إجبار أو إكراه واللذان يوجبان المقاومة ويورثان النزاع.

أدلة وجوب الاقناع بالحسنى:

- (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥).

- (قُـلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُـو إِلَــى اللَّهِ عَلَــى بَصِــيرَةٍ أَنَــا وَمَـنِ اتَّبَعَنِــي) (يوسف: ١٠٨).
- قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا) (صحيح البخاري).

ثمار الاقناع بالحسنى:

للنفس البشرية كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق؛ حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلًا عن هيبتها واحترامها وكيانها، والاقناع بالحسنى يصون الذات، وقيمتها وكرامتها، ويركز على أن القصد هو كشف الحقيقة.

ولجني ثمار الإقناع بالحسنى؛ فإنه يحسن الاعتناء بمهارة الإقناع وفنونه، ومعرفة طرق تأثيره ووسائله. ونبيّن فيما يأتي عوامل نجاح الاقناع.

عوامل نجاح الاقناع:

- الاقتناع بالفكرة ووضوحها، والقدرة على إيضاحها والقوة في طرحها وتوافر الخصال الضرورية في مصدر الإقناع.
- اســتخدام الكلمات ذات المعاني المحصــورة والمحددة؛ مثل: بما أن، إذن، وحينما يكون... إلخ، فهذه الألفاظ فيها شــيء من حصــر المعنى وتحديد الفكرة. ولنحذر من التعميمات البراقة التي لا تفهم أو ذات معانٍ واســعة. مع اختيار العبارة اللينة الهينة، والابتعاد عن الشــدة والضغوط وفرض الرأي.
- ترك الجدل العقيم الذي يقود إلى الخصام، فإنك إن أقمت الحجة وكسبت الجولة وأفحمت الطرف الآخر فإنه لن يكون سعيدًا بذلك، وسيسرها في نفسه، وبذلك تخسر صديقًا أو تخسر اكتساب صديق.
- التفاعل الإيجابي الصادق مع الطرف الآخر بالحرص على ربط بداية الحديث بنهاية حديث المتلقي؛ لأن هذا سيشعره بأهمية كلامه لديك، وأنك تحترمه وتهتم بكلامه، ثم بعد ذلك قدم له الحقائق والأرقام التي تشعره كذلك بقوة معلوماتك وأهميتها، وواقعية حديثك ومصداقيته.
- معرفة أحوال المخاطبين وقيمهم وترتيبها، وأظهر فرحك الحقيقي، غير المصطنع، بكل حق يظهر على لسان الطرف الآخر، وأظهر له

بحثك عن الحقيقة؛ لأن ردك لحقائق ظاهرة ناصعة يشعر الطرف الآخر أنك تبحث عن الجدل وانتصار نفسك.

- الإعداد المسبق والجيد لعملية الإقناع، ومن ذلك تحديد الفكرة بوضوح، والتعرف إلى جوانبها والهدف منها وكيفية عرضها، البدء بالأهم والأقوى دليلًا والأكثر ارتباطًا بحاجة الطرف المقابل، مع التشويق وإثارة الاهتمام بمصداقية ودون تهويل.
- تعدد الوسائل الإقناعية وتنويع المؤثرات؛ وذلك بالجمع بين استخدام الحجج العقلية السليمة وتفعيل العواطف والمشاعر، وتحريكها بحكمة ترغيبًا وترهيبًا، مع استثمار ما لدى المستقبِل من قناعات دينية وأعراف اجتماعية وعادات وتقاليد.
- أن يكون العمل خالصًا لله سبحانه وتعالى لا يشوبه حظ نفس، والتوكل على الله ودعاؤه، مع حسن الظن به سبحانه.

٩٥-العفو

القاعدة التاسعة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي العفو؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم العفو:

يتداخل مفهوم العفو مع مفهومي الصفح والغفران؛ العَفْوُ هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه. والصفح هو ترك التأنيب على الذنب وإزالة أثره من النفس؛ فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، ويدل عليه قوله تعالى :(فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا) (البقرة: ١٠٩).

والغفران يقتضي إسقاط العقاب؛ وإسقاط العقاب يقتضي وجوب الثواب؛ فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب ولهذا لا يستعمل عادة إلا في الله فيقال غفر الله لك.

والهدفُ من العفوِ هو الإصـــلاحُ، فإن لم يتحقَّقِ الإصـــلاحُ مع تَكْرارِ العفوِ، وتمادى المُسيءُ في إساءتِه، إلى درجةٍ تتسبَّبُ في الأذَى البالغِ للمُساء إليه، فهنا وجبَ الأخذُ بالحقِّ، والمطالبة بعقوبة المسيء؛ ولذلك قال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية: "الإصـــلاحُ واجب، والعفوُ مندوبٌ، فإذا كان في العفو فواتُ الإصـــلاحِ، فمعنى ذلك أننا قدَّمْنَا مندوبًا على واجبٍ، و هذا لا تأتي به الشريعةُ".

وينبغي التفرقة بين العفو والذل: قال ابن القيم رحمه الله "العفو إسقاط حقك جودا وكرما وإحسانا، مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الاحسان ومكارم الاخلاق، بخلاف الذل، فان صاحبه يترك الانتقام عجزاً وخوفاً ومهانة نفس، فهذا مذموم غير محمود.

أدلة الترغيب في العفو:

- (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٣).
- (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (الشورى:٤٠).
- (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) (النور: ٢٢).

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن: ١٤).
- (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى: ٣٧).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ، إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (صحيح مسلم).

ثمار العفو:

العفو علاج لخلافاتٍ قد لا يُتَوصَّل فيها إلى رأْيٍ وسط، بل يَأخذ بالطرفين فيها العسرُ والشطط، وقد يحتدم النقاشُ ويرتفع اللغط، وتتسع الفجوةُ، وتتصل الجفوة، فالعفو والصفح علاجٍ تملكه نفوسٌ آمنتْ بالله وابتغتْ ما عنده، وتقبلُه قلوبٌ امتلأتْ بمحبة الخير للناس، وتتسع به صدورُ قومٍ مؤمنين.

العفو والصفح، ونسيان ما تقدَّم ومَضَى، والتنازل عمَّا للنفس من حقٍّ عند الآخرين، لا عن ضَعف أو خوَر، ولا بدافع من خوف أو جُبنٍ، ولكن رغبة خالصة فيما عند الله، وإيثارًا صادقًا للآخرة على الدنيا، وتفضيلاً لِمَا يبقى ويدوم على ما يَفنَى ويزول. وتتجلى أهمية العفو في الآتي:

- العفْوُ من صـــفات الله عز وجل، والعفوّ من أســمائه الحســنى: قال تعالى :(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً) (النســاء: ٤٣)، وقال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّـــيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى: ٢٥).
- العفو خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، كما ورد في قول القرآن عن يوسف عليه السلام لإخوته: (قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (يوسف: ٩٢).
- في العفو رحمة بالمسيء، وتقدير لجانب ضعفه البشري، وامتثال لأمر الله، وطلب لعفوه وغفرانه.
- فـي العفـو توثيـق لـلروابط الاجتماعيـة التـي تتعـرض إلـى الـوهن والانفصـــام بســبب إســاءة بعضـــهم إلـــى بعـض، وجنايـة بعضـــهم على بعض.
- العفو والصفح عن الآخرين سبب لنيل مرضات الله سبحانه وتعالى.
- العفو والصفح سبب للتقوى قال تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) (البقرة: ٢٣٧).

٦٠-الحلم

القاعدة العاشرة من القواعد الآمرة لسلوك المدير هي الحلم؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة الأمر بها، وثمارها.

مفهوم الحلم:

الحِلْـم-بالكسـر-هـو ضـبط الـنَّفس عـن هيجـان الغضـب، وهـو الإمْهَـال بتـأخير العقـاب المسـتحقِّ... ولا يصـحُّ الحِلْـم إلَّا ممَّـن يقـدر علـى العقوبة وما يجري مجراها.

ويختلف الحلم عن الأناة والرفق، فالحِلْم: أن يملك الإنسـان نفسـه عند الغضـب، فإذا حصـل غضـبٌ وهو قادر على العقاب، فإنَّه يَحْلم ولا يعاقب. وأمَّا الأَنَاة: فهي التَّأنِّي في الأمور وعدم العجلة، وألَّا يأخذ الإنسـان الأمور بظاهرها فيتعجَّل ويحْكُم على الشَّيء قبل أن يتأنَّى فيه وينظر.

وأمَّا الرِّفق: فهو معاملة النَّاس بالرقة والهون وخفض الجناح والسهولة حتى وإن استحقُّوا ما يستحقُّون مِن العقوبة والنَّكال، فإنَّه يرفُق بهم.

وليس معنى الحلم التباطؤ والكسل، وإنما هو وسط بين طرفين، وفضيلة بين رذيلتين، فإذا زاد عن حدّه كان توانيًا وإهمالاً أو تبلُّدَ طبع، وانعدامه أو ضعفه عجلة وطيش وسرعة غضب، والأصل هو القصد والاعتدال.

والحليم إمَّا أن يكون حليمًا مفطورًا على الخير مجبولاً عليه، وإمَّا أن يكون الحليم ثائرَ النَّفس، أزعجه مَنْ ظَلَمَه؛ فيصبر محتسبًا ويصفح قادرًا، ويأمره إيمانه بالعُرْف والعَفْو عن الجاهلين.

أدلة الترغيب في الحلم:

- وصف الله بعض أنبيائه بالحلم فقال عن إسماعيل: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ) (الصافات:١٠١).
- (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ) (التَّوبة:١١٤).
- (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ) (هود:٧٥).
- قال صلى الله عليه وسلم لأشجِّ عبد القيس: (إنَّ فيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يحبُّهُما اللهُ: الحِلْمُ والأناةُ) (صحيح ابن حبان).
- قـال صـلى الله عليـه وسـلم: (الأنـاةُ مـن اللهِ والعَجَلـةُ مـن الشـيطانِ) (سنن الترمذي).

ثمار الحلم:

تتفاوت درجات النَّاس في الثَّبات أمام المُثيرات، فمنهم مَنْ تستخفُّه التَّوافه فيَسْتَحْمِقُ على عجلٍ، ومنهم مَنْ تستفزُّه الشَّدائد فيبقى على وقعها الأليم، محتفظًا برجاحة فكره، وسَجَاحة خُلُقه. قال الأحنف بن قيس رحمه الله: "ما آذاني أحدٌ إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاثٍ: إن كان فوقي عَرَفْتُ له فضلَه، وإن كان مثلي تفضلَّتُ عليه، وإن كان دوني أكرمتُ نفسي عنه".

إن قلَّة الحِلْم وكَثْرَةُ الغضب آفتان عظيمتان، إذا انتشرتا في مجتمعٍ ما قَوَّضتا بُنيانه، وهدمتا أركانه، وقادتا المجتمع إلى هوَّة سحيقة. ولذلك تجب الاستعانة بالوسائل التي تعين على اكتساب الحلم ومنها:

- تذكُّر كثرة حلم الله على العبد، فالله سبحانه وتعالى حليم: يرى معصية العاصي ومخالفته لأمره فيمهله، قال تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة: ٢٣٥).
- تذكر قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: "لا يبلغ العبد مبلغ الرَّأي حتى يغلب حِلْمُه جهله، وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلَّا بقوَّة الحِلْم".
- تجنب مخالطة السُّفهاء؛ فإنَّ مجالستهم داء، وإنَّه مَن يَحْلُم عن السَّفِيه يُسَر بحِلْمِه، ومَن يجبه يندم، ومَن لا يقر بقليل ما يأتي به السَّفِيه، يقر بالكثير.

من ثمار الحلم:

- الحليم عظيم الشَّأن، رفيع المكان، محمود الأمر، مرضي الفعل.
- الحلم دليل كمال العقل وسعة الصَّدر، وامتلاك النَّفس.
- يعمل الحلم على تآلف القلوب ونشر المحبَّة بين النَّاس.
- يزيل الحلم البغضاء بين النَّاس ويمنع الحسد.
- صفة الحِلْم عواقبها محمودة.
- أوَّل عِوَض الحَليم عن حِلْمه أنَّ النَّاس أنصارُه على الجاهل.

المجموعة السابعة: الأوامر الناهية عن سلوك المدير

تتكون مجموعة القواعد الناهية عن سلوك المدير من القواعد العشرة الآتية:

٦١-الظلم
٦٢-الكبر
٦٣-التعامل بالربا
٦٤-التكالب على الولاية
٦٥-الطمع
٦٦-القسوة
٦٧-الإيذاء بلا داع
٦٨-الخيانة
٦٩-الغدر والخداع
٧٠-حب الشهرة

وتركّز كل قاعدة على ثلاثة أمور:

- المفهوم العام للقاعدة.
- الدليل الشرعي للنهي عن القاعدة؛ حيث يتم عرض نماذج من الأدلة وليس حصراً لها.
- آثار القاعدة.

٦١-الظلم

القاعدة الأولى من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي الظلم؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الظلم:

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إمَّا بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه.

وأصل الظلم نقصان الحق، أما العدول عن الحق فيوصف بالجور وهو أيضا من الظلم.

ونقصان بعض الحق يوصف بالهضم، والظلم يكون في البعض والكل؛ وفي القرآن: (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (طه ١١٢).

والظلم ثلاثة أنواع:

- ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى: وهو الشرك بالله ولا يمحى إلا بالتوحيد.
- ظلم بين الناس ولا يسقط إلا بإعطاء المظلوم حقه.
- ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل؛ يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفِّرة ونحو ذلك.

ولا يخرج الظلم عن صورتين:

- ظلم باللسان: كالسب والشتم والغيبة والنميمة والسخرية والقذف وشهادة الزور.
- ظلم بالفعل: كالقتل والضرب والسرقة وأكل الربا والتجسس وأكل أموال الناس بالباطل وتتبع العورات وعدم تسليم العمال مستحقاتهم، وتجاوز الحدود في العقارات وخيانة الأمانة وغيرها.

كثير مِن الظلمة لا يباشر الظلم بنفسه بل تجد له أعوانا يعينونه ويسهّلونه عليه ولا يعلمون أنهم في الإثم سواء؛ قال صلى الله عليه وسلم: (مَن أعانَ على خصومةٍ بظلمٍ؛ فقد باءَ بغضبٍ من اللهِ) (صحيح الترغيب). وقال صلى الله عليه وسلم: (منْ أعانَ ظالمًا ليدحضَ بباطلِهِ حقًّا، فقدْ برئتْ منهُ ذمةُ اللهِ ورسولِهِ) (صحيح الجامع).

أدلة تحريم الظلم:

- (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء:٤٠)
- (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (يونس: ٤٤).
- (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (هود: ١٠٢).
- (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) (سبأ: ٤٢).
- (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) (الزمر:٢٤).
- (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (الطلاق: ١).
- (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (الأعراف:٤٤).
- (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) (النساء:١٠).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :قال الله تبارك وتعالى: (يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا) (صحيح مسلم).
- قال عليه الصلاة والسلام: (وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ على الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لها أَبْوَابُ السماء وَيَقُولُ الرَّبُّ عز وجل وعزتي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) (صحيح ابن حبان)
- قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الناس إذا رَأَوُا الظَّالِمَ فلم يَأْخُذُوا على يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابِهِ) (صحيح ابن حبان).

آثار الظلم:

- الظالم مصروف عن الهداية: قال تعالى: (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة: ٥١).
- الظالم لا يفلح أبدًا: قال تعالى: (إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام:٢١).
- الظالم عليه اللعنة من الله، يقول الله عزَّ وجلَّ: (يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (غافر: ٥٢).
- الظالم يحرم من الشفاعة، قال تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (غافر: ١٨).

- الظالم تصيبه دعوة المظلوم ولا تخطئه، قال عليه الصلاة والسلام: (اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّه ليسَ بيْنَها وبيْنَ اللهِ حِجابٌ) (صحيح البخاري).
- بالظلم يرتفع الأمن، قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (الأنعام:٨٢).
- الظلم سبب للبلاء والعقاب، قال تعالى: (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) (الحج:٤٥).
- وقال سبحانه: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) (الكهف: ٥٩).

وقيل في الظلم كلام كثير منه:

- لكل ظالم نهاية.
- من أعان ظالماً سُلّط عليه.
- من طال تعدّيه كثرت أعاديه.
- ظلم الضعيف أفحش ظلم.
- الظلم أسرع شيء إلى تعجيل نقمة وتبديل نعمة.
- ظلم الأقارب أشد وقعا من السيوف.
- لمن تشتكي إذا كان خصمك القاضي.
- من ظلم نفسه فهو لغيره أظلم.
- جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة.
- إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك.
- يا ظالم، هل سألت نفسك وأجبت عن السؤال بصدق، هل أنت راض عن نفسك؟!
- يا ظالم، هل تظن أنك مخلد، أو أنك بمعزل عن عذاب الله وعقابه؟!
- يا ظالم، هل تعلم أن سنة الله الغالبة: أن الجزاء من جنس العمل؟!
- يا ظالم، هل تظن أن من يساعدونك على ظلم المخالفين لك أو لهم سيحاسبون عنك؟!
- يا ظالم، ألم تعلم أن للمظلوم ربا تكفل بنصرته ولو بعد حين!
- يا ظالم، هل تعلم أن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا قبل الآخرة؟!
- يا ظالم، ألم يردعك عن الظلم ما حل بالظالمين من قبلك!
- يا ظالم، ترقب كيف سينتقم الله منك -إن لم تتب-في الدنيا قبل الآخرة!
- إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

٦٢-الكبر

القاعدة الثانية من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي الكبر؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، آثارها.

مفهوم الكبر:

الكبر هو استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، مع شعور خادع بالاستعلاء والاستهانة بالناس، واستصغارهم واحتقارهم. وهو انفعالات داخلية أساسا، كما قال الله سبحانه: (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ) (غافر: ٥٦)، وما يظهر من سلوكيات المتكبر ترجمة لهذه الانفعالات.

وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم الكبر بقوله: (الكِبرَ بَطَرُ الحقِّ وغمصُ النَّاسِ)؛ فبطر الحق: رده وجحده، وغمص أو غمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم.

والكِبْر نوعان: باطن وظاهر: فالباطن: خُلُقٌ في نفس الإنسان، والظاهر: أعمال تَصْدر عن الجوارح، وهذه الأعمال الظاهرة هي ثمرات لِمَا في الباطن، فالباطن هو الأصل، والظاهر فرْعٌ منه.

والكِبْر الباطني معناه: أن يرى المتكبِّرُ نفسَه فوقَ مَن يتكبَّر عليه، بحيث يَصير ذلك كالعقيدة عنده، فيفرح به، ويَرْكن إليه، ويعتزُّ في نفسه بسببه، وذلك هو خُلُق الكِبْر.

والكِبْر قسمان: كِبْر هو كُفر، وآخَر هو معصية، فالكُفر هو ما كان المتكبَّرُ عليه هو الله ورسوله، أو كتابه، أما المعصية فما دون ذلك.

وعلى هذا، فالكِبْر يَستدعي توافر أمورٍ ثلاثة: إنسان متكبِّر، وموجود يتكبَّر الإنسان عليه، سبب لهذا الكِبْر. فلا يُتَصَوَّر أن يوجَد إنسان مُتكبِّر، دون أن يوجَدَ مَن يتكبَّر عليه.

الكِبر حين يَستشري في النفْس، ويَتمكَّن من قلب الإنسان، ويَملِك عليه حِسَّه وفِكْره، يكون أسوأَ ما يُصيب الإنسان من أمراض القلب؛ فما مِن خُلُق من الأخلاق المذمومة، إلاَّ وتَجِد صاحبَ الكِبْر مُتَّصِفًا به.

والمتكبر لا يحبُّ للمؤمنين ما يحبُّ لنفسه، ولا يَقدر على التواضُع، ولا يتخلَّص من الْحِقد، ولا يتغلَّب على الغضب والغيْظ، ولا يستطيع دفْعَ الْحَسد عن نفسه، ولا يَقبل نصيحة ناصحٍ، ولا تعليم عالِم، ولا يعامل الناس إلاَّ

بالازدراء والاحتقار، وإذا مَشَى اخْتَال، وإذا تكلَّم افْتَخَر، وإذا نصَح سَخِر من الناس وحقَّرهم، وإذا تَحدَّثَ تقعَّر في الكلام وتشدَّق، وإذا جالَسَ الناسَ غَضِب إذا لَم يكنْ له صدرُ المجلس، وأوَّلُ الكلام، وغايةُ التعظيم والاحترام.

فلذلك أخبر النبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم -أنه لا يدخُل الجنةَ مَن كان في قلبه مِثقالُ ذَرَّة من كِبْرٍ؛ فقد حجَبَ الكِبرُ المتكبِّرين عن الجنة؛ لأنه حجَبَهم عن الأخلاق الحميدة.

أدلة تحريم الكبر:

- الكِبْر من أوَّل الذنوب التي عُصـــي الله تبارك وتعالى بها: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْـــجُدُواْ لآدَمَ فَسَـــجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْـــتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٣٤).
- والكِبْر سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) (نوح: ٧).
- الكبر سبب للصرف عن دين الله: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (الأعراف: ١٤٦).
- (إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ فَـالَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْـــتَكْبِرُونَ، لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِـــرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) (النحل: ٢٢-٢٣).
- سـبب لـدخول النَّـار والخلـود فيهـا: (وَيَـوْمَ يُعْـرَضُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا عَلَـى النَّـارِ أَذْهَبْـتُمْ طَيِّبَـاتِكُمْ فِـي حَيَـاتِكُمُ الـدُّنْيَا وَاسْـتَمْتَعْتُم بِهَـا فَـالْيَوْمَ تُجْـزَوْنَ عَـذَابَ الْهُـونِ بِمَـا كُنـتُمْ تَسْـتَكْبِرُونَ فِـي الأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ) (الأحقاف: ٢٠).
- (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان: ١٨ – ١٩).
- (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) (الإسراء: ٣٧ – ٣٨).

- (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٨٣).
- (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) (غافر: ٣٥).
- (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ) (صحيح مسلم).
- وقال صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: (الكِبرياءُ رِدائي، والعظَمةُ إزاري، فمَن نازعَني واحدًا منهنَّ ألقيتُهُ في جهنَّمَ) (تخريج المسند). والكِبْرياء هي العز والملك، وليست من الكِبْر في شيء، والشاهد قوله تعالى: (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ) (يونس: ٧٨).

آثار الكبر:

قال ابن القيّم: "أصْل الأخلاق المذمومة كلِّها الكِبرُ والمهانة والدناءة، وأصْل الأخلاق المحمودة كلِّها الخشوعُ وعلو الهِمَّة، فالفخر والبَطر، والأَشَر والعُجب، والحسد والبغي، والخُيلاء والظلم، والقسوة والتجبُّر، والإعراض وإباء قَبول النصيحة، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه والرِّئاسة، وأن يُحمَد بما لم يفعلْ، وأمثال ذلك، كلها ناشئةٌ مِن الكِبر".

وقال أيضا: "أرْكان الكفر أربعة: الكِبر والحسد، والغضب والشهوة: فالكبر يمنعُه الانقياد، والحسَد يمنعه قَبول النصيحة وبذْلها، والغَضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرُّغَ للعبادة، فإذا انهدم ركنُ الكِبر سهُل عليه الانقياد، وإذا انهدَم رُكن الحسَد سهُل عليه قَبول النُّصح وبذله، وإذا انهدَم رُكن الغضب سهُل عليه العدل والتواضُع، وإذا انهدَم رُكن الشهوة سهُل عليه الصبر والعَفاف والعبادة".

من آثار الكِبْر:

- الحرمان من النظر والاعتبار: ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه وأخطائه، غارقًا في أوحاله، حتى تنتهي الحياة.
- القلق والاضطراب النفسي: لأن اشتغال المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره.

- الملازمة للعيوب والنقائص: وذلك أن المتكبر لظنه أنَّه بلغ الكمال في كلِّ شيء لا يفتش في نفسه، حتى يعرف أبعادها ومعالمها، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح، ولا يقبل كذلك نصحًا أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومثل هذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، ملازمًا لها إلى أن تنقضي الحياة، ويدخل النار مع الداخلين.
- الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النَّار: وذلك أمر بدهي، فإنَّ من يعتدي على مقام الألوهية، ويظلُّ مقيمًا على عيوبه ورذائله، ستنتهي به الحياة حتمًا، وما حصَّل خيرًا يستحق به ثوابًا أو مكافأة، فيحرم الجنة مؤبدًا أو مؤقتًا.
- قلة كسب الأنصار بل والفرقة والتمزق، والشعور بالعزلة: ذلك أنَّ القلوب جُبلت على حبِّ من ألان لها الجانب، وخفض لها الجناح، ونظر إليها من دونٍ لا من علٍ.

علاج الكبر :

- يبدأ العلاج أولا بالوعي بهذا الخلق، وضرورة تعديله، ثم الاستعاذة بالله منه؛ (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) (غافر: ٥٦). فإذا تغيرت نظرته للمرض واتضحت له حقيقته وأصبحت موازينه في الحكم عليه هي موازين الإسلام، اجتهد للتخلص منه.
- أن يعدل أفكاره عن نفسه، ليكون نظرة صحيحة عن الذات فهو الضعيف الفقير الذليل الذي ما يلبث عمره أن ينتهي في أية لحظة وما يلبث أن يمرض بأصغر وأقل فيروس أو بكتيريا وما يلبث أن ينقطع جهده بأقل مجهود أو عمل!! "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (فاطر:١٥).
- الكبر مرض يمكن علاجه ولكن قد فشلت فيه الأدوية البعيدة عن الإيمان؛ إذ إنه ينمو في بيئة الأثرة وحب الذات، وأما العلاج الإيماني فهو النافع فيه إذ يأمر الإيمان بالحرص على مصلحة الآخرين والتواضع لهم وخفض الجناح قال الله تعالى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الحجر: ٨٨)
- إن الموازين الإسلامية القائمة على التفاضل بالتقوى والعمل الصالح هي التي تمنع التكبر بالمال والنسب والعلم والجمال والقوة وغيرها؛ فعلاج

الكبر يدخل في منظومة متكاملة لتربية الشخص على التعامل بموازين الإسلام في الحياة.

- معالجة السلوكيات الناتجة عن الكبر بالمواظبة على أخلاق التواضع، والاطلاع على سير المتواضعين والتأسي بهم، كذلك صحبة أهل التواضع والفقراء ومجالسة المساكين. كذلك قد وصف العلماء للمتكبر الذي يريد معالجة نفسه أن يتصنع التواضع كعلاج لذلك؛ ولمن كبرت عليه نفسه أن يكسر شوكتها.

٦٣-التعامل بالربا

القاعدة الثالثة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي التعامل بالربا؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم التعامل بالربا:

الربا نوعان:

ربا الديون (ربا النسيئة) الربا الجلي، وهو الزيادة التي ينالها الدائن من مَدِينه نظير التأجيل، أي: الزيادة بسبب النسيئة وهي التأجيل، وهذا النوع من الربا هو المنصوص على تحريمه في القرآن الكريم.

ربا البيوع (ربا الفضل) الربا الخفي، وهو بيع جنسٍ من الأصناف الربوية بجنسه مع زيادةٍ في أحد البدلين على الآخر، سواءً كان ذلك البيع معجّلاً أو مؤجّلاً، فلا علاقة للزيادة بالتأخير. وقد ذكر رسول الله صلى الله وسلم الأصناف الربوية بقوله: (الذَّهَبُ بالذَّهَبِ، والْفِضَّةُ بالفِضَّةِ، والْبُرُّ بالبُرِّ، والشَّعِيرُ بالشَّعِيرِ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ، والْمِلْحُ بالمِلْحِ، مِثْلاً بمِثْلٍ، سَواءً بسَواءٍ، يَداً بيَدٍ، فإذا اخْتَلَفَتْ هذِه الأصْنافُ، فَبِيعُوا كيفَ شِئْتُمْ، إذا كانَ يَداً بيَدٍ) (صحيح مسلم).

وقال ابن القيم: الربا نوعان: جلي وخفي؛ فالجلي حُرِّم لما فيه من الضرر العظيم. والخفي حُرم لأنه ذريعة إلى الجلي، فتحريم الأول قصداً، وتحريم الثاني وسيلة، فأما الجلي فربا النسيئة، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية؛ مثل أن يؤَخِّر دينه ويزيده في المال.

فتحريم ربا الفضل من باب سد الذرائع، كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تَبِيعُوا الدِّينارَ بالدِّينارَيْنِ، ولا الدِّرْهَمَ بالدِّرْهَمَيْنِ.). (صحيح مسلم).

وربا المصارف (البنوك) هو ربا النسيئة في الديون؛ وهو القروض لأجل مقابل فائدة شهرية أو سنوية، وكذلك الودائع المصرفية، وشهادات الاستثمار ذات للعائد الثابت المحدد سلفاً. وخصم الأوراق التجارية.

والتعامل بالربا محرم بالأدلة القاطعة من القرآن والسنة والإجماع.

تحريم بيع العينة وهو أن يبيع السلعة بثمن مؤجل، ثم يشتريها مرة أخرى نقدا بثمن أقل، فتكون الصورة النهائية حصول النقد للمشتري، وسوف يسدده بأكثر منه بعد مدة، فكأنَّه قرضٌ في صورة بيع.

أدلة تحريم الربا:

- (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ، وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٨٠).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ) (صحيح البخاري).
- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقالَ: هُمْ سَوَاءٌ) (صحيح مسلم).
- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) (سنن أبي داود) .
- قال رسول الله صلى الله علية وسلم: (لَيأتينَّ على الناسِ زمانٌ؛ لا يبقى أحدٌ إلا أكَلَ الرِّبا؛ فإن لم يأكلْهُ أصابهُ من بُخاره) (سنن أبي داود).

آثار الربا:

للربا آثار جسيمة على الاقتصاد بكل متغيراته: النقود، الادخار والاستثمار، الإنتاج، عدالة التوزيع، والمالية العامة. لا يتسع المجال لتفصيلها.

وتمتد الأضرار الوخيمة للربا إلى الجوانب الاجتماعية والأخلاقية مثل:

- الفائدة التي يحصـــل عليها المرابي لا تأتي نتيجة عمل إنتاجي؛ بل استقطاع من مال الفرد، أو من ثروة الأمة دون أن ينتج ما يقابله.
- يدفع الربا فئة من الناس إلى الكســـل والبطالة، وتمكنهم من زيادة ثروتهم بدون جهد وعناء.
- الربا يؤدي إلى ظاهرة التضخم في المجتمع.
- إثقال كاهل المقترضين عند العجز عن التسديد لتضاعف سعر الفائدة المحرمة شرعًا.
- الربا يســتغل حاجة المحتاجين ويلحق بهم الكثير من الأضــرار دون اختيار منهم.
- ينمي الضــغائن والأحقاد بين الناس لعدم اقتناع المقترض بما أخذ منه مهما كانت حاجته ورغبته فيه.
- يلغي معاني الفضيلة والتعاون على البر والتقوى.

الفرق بين البيع والربا، (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)(البقرة: ٢٧٥):

- البيع مبادلة عين بثمن، أما الربا فهو الزيادة على الثمن عند حلول الأجل وتعذر التسديد.
- البيع تبادل المنافع برضـــا الطرفين، أما الربا فهو اســـتغلال الغني لحاجة الفقير وعجزه عن الوفاء.
- الـربح فـي البيـع مقابـل الجهـد والتعـب فـي التجـارة، أمـا فـي الربـا فهـو مقابـل الـزمن فلـيس لـه حينئـذ عـوض معتبـر شـرعًا، ولا تعب ولا جهد.
- البائع والتاجر قد يربح وقد يخسر، أما المرابي فربحه مؤكد مضمون وقد يزيد مع الزمن.

- البيع عام يتناول كل السلع، أما الربا فهو في هذا الزمان يتعلق أساسًا بالنقود فقط، ويقوم على توليد النقد من النقد، وهذا خلاف المقصـــود من النقود وهي ثمن المبيعات.
- البيع يسد حاجات الناس، والربا يستغلهم؛ بل إن المرابين قد يرتبون لاحتياج الناس ثم يستغلونهم.
- إن البيع يؤدي إلى الإثراء والإنعاش الاقتصـــادي، بينما يؤدي الربا إلى تخريب الاقتصاد.

٦٤-التكالب على الولاية

القاعدة الرابعة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي التكالب على الولاية؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم التكالب على الولاية:

الولاية في الإسلام ليست مغنماً بقدر ما هي مغرم، وليست تشريفاً بقدر ما هي تكليف، وليست زعامة بقدر ما هي مسؤولية، وينبغي توافر متطلباتها العلمية والعملية والأخلاقية فيمن يقوم بها.

التصارع على الولاية والتهافت عليها حرصا وطمعا؛ يؤدي إلى العداوة والتَّجاهُرُ بها، وقد تصبح الإمارة مغنما ومرتعا؛ ووسيلة للعلو والظهور وتحقيق المكاسب المادية والنفسية، وتحقيق الرغبة الجامحة في الزعامة، والنفرة من قبول الاستشارة من غيره؛ والاستئثار بمركز الأمر والنهي.

أدلة النهي عن التكالب على الولاية:

- (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٨٣).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ) (صحيح البخاري). المرضعة: الدنيا، والفاطمة عند الانفصال عنها بالموت.
- عن أَبَي ذَرٍّ، قال: نَاجَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِّرْنِي. فَقَالَ: (إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَخِزْيٌ، وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا.) (صحيح مسلم).
- وقد سأل الولاية بعض الأنبياء المصطفين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام حينما رأوا أنهم أكفأ من يقوم بها، ولخطورة ما يترتب عليها لو وضعت في يد غير أمينة، فهذا يوسف عليه السلام يقول للملك :(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي

حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (يوسف: ٥٥) وهذا سليمان عليه السلام يسأل الله عز وجل الولاية فيقول :(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي...) (ص: ٣٥).

آثار التكالب على الولاية:

يجب على الوالي (أمير، مدير، رئيس...) تأدية مهامه عند حمل المسؤولية فإن لم يكن أهلا لتأدية هذه المهام فلا يُحَمِلَّن أحد نفسه فوق طاقتها، لأن التقصير في حق الرعية لا يترتب عليه محاسبة دنيوية فقط، بل عذاب يجعله يندم ويتحسر على إقدامه لما هو ليس أهلا له.

لا غرابة في حرص أهل الدنيا على التكالب على الولاية؛ فذلك أمر تعوّده الناس منهم، حتى أفضى الأمر إلى نزاعات وخلافات ومفاسد وفتن كثيرة، بسبب الاتكال على النفس، وعُجباً بقدراتها وغروراً بإمكاناتها، وانقطاعاً عن الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ التي لا غنى لعبد عنها طرفة عين، ولا توفيق له إلا بمعونته سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر التكالب على الولاية:

- الحديث عن النفس، وكثرة مدحها، والحرص على وصفها بالألقاب المفخمة كالشيخ، والأستاذ، والداعية، وطالب العلم، ونحوها، وإظهار محاسنها والشكوى من عدم نيل منصب ما، وكثرة السؤال عن الأسس والمعايير لتقلّد بعض المناصب.
- عدم المشاركة بجدية عندما يكون مرؤوساً، والتهرب من التكاليف التي لا بروز له فيها.
- كثرة النقد بسبب وبغير سبب، ومحاولة التقليل من أهمية المبادرات والمشاريع الصادرة من غيره والعمل على إخفاقها.
- الإصرار على رأيه، وعدم التنازل عنه، وإن ظهرت له أدلة بطلانه.

وينتج عن التكالب على الإمارة مفاسد كثرة منها:

- فساد النية، وضياع الإخلاص، أو ضعفه، ودنو الهمة، والغفلة عن الله تعالى وعن الاستعانة به.
- انصراف الهمّ عن المهمة الأساس، والغاية الكبرى من حياة العبد، وهو تحقيق العبودية لله عز وجل؛ والاشتغال عن

النافع، وصـــرف الوقت والجهد والفكر فيما هو غني عن الاشـــتغال به، من مراعاة الخلق، ومراءاتهم، والحرص على مدحهم، والفرار من مذمتهم، وهذه بذور النفاق، وأصل الفساد.

- المداهنة في دين الله ـ تبارك وتعالى ـ بالسكوت عما يجب قوله والقيام به من الحق، وربما بقول الباطل من تحليل حرام، أو تحريم حلال، أو قول على الله بلا علم.
- اتباع الهوى، وارتكاب المحرمات من الحسـد والظلم والبغي والعدوان ونحوه مما يوقع فيه هذا الحرص ويستلزمه أحياناً.

من يريد النجاة من التكالب على الولاية، فليعلم أن الدنيا حقيرة في جنب الآخرة؛ وتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (واللهِ ما الدنيا في الآخرةِ إلا مثلَ ما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ، فلينظر بم يرجعُ) (فتح الباري). كم ستأخذ من البحر إذا وضعت إصبعك؟ قطرة، قطرتين، ما الدنيا في الآخرة بشيء، فالثناء الحقيقي هو ثناء الله، والنعيم الحقيقي هو نعيم الجنة، فلا تغرنك الدنيا، ولا تخدعنك زهرتها.

٦٥-الطمع

القاعدة الخامسة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي الطمع؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الطمع:

الطمع هو نزوع النَّفس إلى الشَّيء شهوةً له، فيتعلق به البال من غير سبب. مثل الطمع في المال والجاه والمنصب وغير ذلك كثير من أمور الدنيا.

ويختلف الطمع عن الطموح الذي يقتضي تحديد أهداف والسعي لتحقيقها؛ مع الرضا والقناعة بما يتحقق منها، فلا تمتد عينه إلى ما في أيدي الناس، ولا يتطلع إلى الحصول على شيء بلا جهد وعمل واستحقاق.

والطَّمع يقارب الرجاء، والأمل، لكن الطَّمع أكثر ما يقال فيما يقتضيه الهوى. والأمل والرجاء قد يكونان فيما يقتضيه الفكر والرويَّة.

والطمع الناتج عن الهوى مذموم؛ يقول عنه الشافعي: العبدُ حرٌّ إن قَنَعْ والحرُّ عبدٌ إن طمع ...فاقنعْ ولا تطمعْ فلاَ شيءٌ يشينُ سوى الطمع".

ويكون الطمع محمودا في فعل أعمال الخير، وفي طلب المغفرة من الله؛ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) (الشعراء:٨٢).

أدلة النهي عن الطمع:

- (وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) (البقرة: ٤١). لا تأخذوا طمَعًا قليلًا وتكتُموا اسمَ الله، وذلك الثمن هو الطَّمع.
- (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (ص: ٢٤). لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ: بدافع الطَّمع والحرص، وحب التكاثر بالأموال.
- (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (النساء:٣٢).
- قال صلى الله عليه وسلم: (أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَ له، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ، وإنْ

دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهو يُخَادِعُكَ عن أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ) (صحيح مسلم).

- وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ) (صحيح مسلم).

آثار الطمع:

لكي ينتزع المسلم تلك الصفة البغيضة منه عليه بالآتي:

- أن يتخلق المسلم بخلق القناعة والرضا.
- يعرف المسلم أن لن يكون له من الدنيا إلا ما قدر الله له.
- أن ينظر المسلم في أحوال الأنبياء والأولياء ويأخذ منهم العبرة والعظة والقدوة الحسنة.
- الحرص على أداء الزكاة ففي ذلك شفاء من الطمع في المال.
- الكرم مع الناس فالكرم طريق سهل الى حب الناس كما ان الطمع طريق الى بعد الناس عنك وكرههم لك.
- تحر الحلال في جمع المال فلا تجمعه من حرام.
- لا تسأل الناس الزيادة طالما ان عندك ما يكفيك.
- كن أميناً على مال غيرك فلا تطمع فيه فمن استأمنك كن معه أميناً حافظاً لماله.

التخلص من الآثار البغيضة للطمع ومنها:

- الانشغال الدائم والتعب الذي لا ينقطع.
- يؤدي الطمع إلى غياب فضيلة البذل والتضحية والإيثار بين أفراد المجتمع.
- دليل على سوء الظن بالله.
- دليل على ضعف الثقة بالله، وقلَّة الإيمان.
- يُذِلُّ أعناق الرجال.
- يُشعر النفس بفقر دائم، مهما كثر المال.
- يُعمي الإنسان عن الطريق المستقيم.
- يمحق البركة.
- ينشر العداوة، والكراهية، وعدم الثقة بين أفراد المتجمع.
- ينقص من قدر الفرد، ولا يزيد في رزقه.

٦٦-القسوة

القاعدة السادسة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي القسوة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم القسوة:

القسوة في القلب هي ذهاب اللين، والرحمة، والخشوع منه، وهي خلقٌ مركبٌ من البغض، والشَّجَاعَة، والتهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى. وتصل إلى الغلظة التي تعني قلة الشفقة وعدم الانفعال للخير، وتفضي إلى الفظاظة التي تعني الغلظة وسوء الخلق والكلام الخشن.

وقيل ما ابتلي أحد بمصيبة، أعظم عليه من قسوة. وقيل أبعد القلوب من الله القلب القاسي. وقيل أيضا خلقت النار لإذابة القلوب القاسية.

وقال ابن القيم رحمه الله القسوة: "يبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته. "

أدلة تحريم القسوة:

- (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: ٧٤).
- (فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ٤٣).
- (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (الحج: ٥٣).
- (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الزمر: ٢٢).
- (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد: ١٦).
- (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩).

آثار القسوة:

قال ابن القيم رحمه الله: سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبتًا إليه، وبعضها قاسيًا، وجعل للقسوة آثارًا، ومن آثار القسوة:

- تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم، وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب.
- نسيان ما ذكر به، وهو ترك ما أمر به علمًا وعملًا، قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ) (المائدة: ١٣).
- زوال النعم ونزول المصائب والنقم والهلاك: قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) (الأنعام: ٤٢-٤٤).
- القلب القاسي أضعف القلوب إيمانًا، وأسرعها قبولًا للشبهات، والوقوع في الفتنة والضلال، قال تعالى: (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (الحج: ٥٣).
- سبب في الضلال، واستحقاق لعنة الله، وسخطه، وعقابه، قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الزمر: ٢٢).
- الفتور عن الطاعة، والوقوع في المحرمات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الوحشة، والخوف الدائم، وعبوس الوجه، والكآبة.
- التنافر بين القلوب، وشيوع الكراهية والبغضاء؛ قال تعالى: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران: ١٥٩).
- غلظة القلب من علامة الشقاوة في الدنيا والآخرة.
- قسوة القلب، والغلظة، والفظاظة، من صفات الظلمة المتكبرين.

٦٧-الإيذاء بلا داع

القاعدة السابعة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي الإيذاء بلا داع؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الإيذاء بلا داع:

الإيذاء هو كل ما يسبب للآخرين الضرر والمكروه الحسي أو المعنوي، ويدخل في ذلك حرمانُ العامل من أجرته، أو خصمُ شيء من حقِّه دون وجه حقّ، أو التسويفُ والتأجيلُ في إيفائه حقه، والمبالغة في العقوبة، والفجور في الخصومة، والانتصار للنفس بالباطل، والطعن في العرض.

ولو اختلطت معاملات الناس بين الإحسان والإيذاء فإن كف الأذى مقدم على جلب الخير وفى القاعدة الشرعية: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

أدلة تحريم الإيذاء بلا داع:

- (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينا) (الأحزاب:٥٨).
- (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (الأحزاب: ٥٧).
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تُعَيِّرُوهُمْ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) (سنن الترمذي).
- قال صلى الله عليه وسلم:(كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) (صحيح مسلم).
- قال صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (المسلِمُ من سلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ) (صحيح البخاري).
- قال صلى الله عليه وسلم: (مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ) (صحيح البخاري).

آثار الإيذاء بلا داع:

إن الإيذاء بغير جناية موجبة للأذى هو إساءة يترتب عليها غمٌّ الإنسان في أمور دينه ودنياه، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد. ويقول الحق سبحانه وتعالى: (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) (الإسراء: ٧).

وقال بعض السَّلف: (ما أحسنتُ إلى أحدٍ، وما أسأتُ إلى أحدٍ، وإنَّما أحسنتُ إلى نفسي، وأسأتُ إلى نفسي).

وقال موسى بن جعفر: "مَن أَسَاء سِرًّا، فليتبْ سِرًّا، ومَن أَسَاء علانيةً، فليتب علانيةً، فإنَّ الله يغفر ولا يُعَيِّر، وإنَّ النَّاس يُعَيِّرون ولا يغفرون".

وللإساءة بالأذى آثار منها:

- الإسَاءة صفة مِن صفات المنافقين. عن الحسن البصري، أنَّه قال: "إنَّ المؤمن جمع إحسانًا وشفقةً، وإنَّ المنافق جمع إسَاءة وأَمْنًا".
- أنَّ مَن رضي لنفسه بالإسَاءة، شهد على نفسه بالرَّداءة والدَّناءة.
- أنَّ الإسَاءة مِن أسباب قسوة القلب.
- أنَّه كلَّما ازداد الإنسان إساءة ازداد وحشة.
- الإسَاءة إلى الآخرين تُسَبِّب العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع.

٦٨-الخيانة

القاعدة الثامنة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي الخيانة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الخيانة:

الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، فهي عمل من اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة.

وأما خيانة الأمانة: فكلٌّ واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها، وإن شاء أدَّاها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى.

وقال الجاحظ: "الخيانة: الاستبداد بما يُؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحُرَم، وتملّك ما يُسْتَودَع، ومُجَاحَدَة مُوْدِعه، وطَيُّ الأخبار إذا نُدِب لتأديتها، وتحريفُ الرَّسائل إذا تحمّلها، وصَرْفها عن وجوهها.

والخيانة في الشرع استُعملت بمعنى: الكفر أو النفاق، والمعصية، ونقض العهد، وسوء الأمانة، والزنى، والكذب، ووضع الأمر في غير أهله، وترك النصح، وإفشاء السر.

أدلة النهي عن الخيانة:

- (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (النساء: ١٠٥) .
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال: ٢٧).
- (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأنفال: ٥٨).
- (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (الأنفال: ٧١).
- (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ)(يوسف: ٥٢).
- (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر: ١٩).

- قال صلى الله عليه وسلم: (آيةُ المنافقِ ثلاثٌ إذا حدَّثَ كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا اؤتمنَ خانَ) (صحيح البخاري)
- قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذِرُونَ ولا يُوفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّــمَنُ.) (صحيح البخاري). السِّمَن: البدانة، وكثرة اللَّحم والشحم.

آثار الخيانة:

الخيانة قبيحة بكلِّ صُوَرِها التي لعنَتْها كلُّ الشرائع السماويَّة والقوانين الأرضيَّة؛ ومن آثارها البغيضة:

- تسخط الله عزَّ وجلَّ على العبد.
- داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرده من إنسانيته، وجعله وحشًا يهيم وراء ملذاته.
- من علامات النفاق.
- طريق موصل إلى العار في الدنيا، والنار في الآخرة.
- أسوأ ما يبطن الإنسان.
- انتشار الخيانة في المجتمع من علامات اضمحلاله.
- انتشار الغلول والرشوة والغش؛ لأنها كلها من الخيانة.
- فقدان الثقة بين أفراد المجتمع.
- تفكك أواصر المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع.
- أنها تسبب المهانة والذُّل لصاحبها.

٦٩-الغدر والخداع

القاعدة التاسعة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي الغدر والخداع؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم الغدر والخداع:

الغدر هو نقض العهد مطلقًا في لحظة لم تكن متوقعة ولا منتظرة. وهو صفة ذميمة لا يتلبس بها إلا لئام الناس، بل هي صفة وحوش الحيوان كالذئاب، وصفة من لا دين له ولا مروءة، ويترفع عنها النبلاء عند التمكن منها لما لها من عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا صاحبها مكروه وفي الآخرة صاحبها مأخوذ بعذاب الله تعالى.

والخداع هو الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير مع إبطان خلافه، ليحصل مقصود المخَادِع. فالخداع هو جعل الآخرين يقتنعون بأمور ومعلومات غير صحيحة؛ بإظهار جزء من الحقيقة وكتم جزء آخر، وفي هذا خداع لأن فيه تشويها للحقيقة، وهو الأسلوب الذي تقوم به بعض الحيوانات لحماية نفسها.

أدلة تحريم الغدر والخداع:

- (يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة: ٩).
- (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (النِّساء: ١٤٢).
- (وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: ٦٢).
- (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (النحل: ٩١).
- (وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ) (النحل: ٩٤). دَخَلاً بَيْنَكُمْ تعني خيانة وغدرًا.
- وقال صلى الله عليه وسلم :(أَربَعٌ مَن كُنَّ فيهِ كان مُنافِقًا خالِصًا، ومَن كانتْ فيهِ خَصلةٌ مِنهُنَّ كانتْ فيهِ خَصلةٌ مِنَ النِّفاقِ حتَّى يَدَعَها: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ) (صحيح البخاري).

- وقال صلى الله عليه وسلم: (لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَومَ القِيامَةِ يُعْرَفُ بهِ) (صحيح البخاري).

آثار الغدر والخداع:

للغدر آثارٌ ضارة تعود على الفرد، وعلى المجتمع منها:

- الغواية والضلال؛ فالذين يتصفون بالغدر هم بعيدون عن كتاب الله وسنة رسوله، وبسبب ذلك فقد أغواهم الله تعالى وأضلهم، فلا يوفقون إلى خير.
- قسوة القلب؛ قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة:١٣).
- ضياع المروءة، وذهاب الهيبة، وتسلط الأعداء؛ قال تعالى: (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) (الفتح: ١٠).
- براءة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الغدر؛ ذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم جاء بمنهاج يدعو إلى الوفاء مع الخالق، والمخلوق، ومع العدو، والصديق، بل حتى مع الدواب، والجمادات.
- الانتظام في سلك المنافقين؛ ذلك أنَّ الغادر أظهر شيئًا في الوقت الذي أبطن فيه خلافه.
- الفضيحة على رؤوس الأشهاد؛ ذلك أنَّ الله لا يُوقف عقابه للغادرين على الدنيا، بل يضمُّ إلى ذلك عقاب الآخرة، وأوَّله الفضيحة على رؤوس الأشهاد وما أعظمه وما أشده من عقاب.

ومِن آثار الخداع:

- أنَّ الخِدَاع دليلٌ على ضعف إيمان صاحبه.
- الخِدَاع سببٌ مِن أسباب الفُرْقَة بين المسلمين.
- أنَّه صفة مِن صفات المنافقين.
- يتسبَّب في أكل أموال النَّاس بالباطل.
- يولِّد ضعف الثِّقة بين أفراد المجتمع.
- المخَادِع يكون منبوذًا عند النَّاس.

٧٠-حب الشهرة

القاعدة العاشرة من القواعد الناهية عن سلوك المدير هي حب الشهرة؛ ونبيّن فيما يأتي مفهومها، وأدلة النهي عنها، وآثارها.

مفهوم حب الشهرة:

الشهرة هي كل عمل يقوم به الإنسان بنية التسميع والظهور وإشهار اسمه. وليس الأصل في الشهرة الذم؛ وإنما الذم لمن يسعى في طلبها والتحلي بها بين الناس. فحب الشهرة مذموم بكل حال، فالمؤمن مخبت متواضع، لا يحب أن يشار إليه بالأصابع.

من أعظم ما يفسد على المرء سعيه إلى ربه حبه للشهرة، والشرف في الناس، والرئاسة عليهم. وهذه المحبة للشهرة هي من الأمراض الخفية في النفوس، ومهلكات القلب التي لا يكاد يتفطن إليها العبد إلا بعد أن تمضي به شوطا بعيدا، يشق عليه استدراكه، وإصلاح ما أفسدته منه. فعلى المؤمن ألا يريد وجوه الناس بعمله، بل عليه أن يرجو وجه الله، وهو سبحانه من يعلي ذكره ويرفع شأنه ويرزقه محبة الناس.

قال الحسن البصري: " كفى فتنة للمرء أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله".

فإذا طلب المؤمن الخير، من أمر الدين أو أمر الدنيا، ثم وقعت له الشهرة دون طلب منه لها، وسعى في سبيلها؛ فلا حرج عليه في ذلك، بل عليه أن يصحح نيته في طلب الخير، ولا يبالي بما حصل له من الشهرة بعد ذلك، ويسعى في تسخيرها في الخير.

فالبحث عن الشُّهرة خلَلٌ في عقيدة التَّوحيد، وانقلابٌ في مفاهيم الغاية البشريَّة في الوجود، ونَكْسة في ترتيب الاهتمامات؛ فهو الصُّورة التطبيقيَّة للرِّياء المُحْبِط للأعمال في ميزان الشَّريعة.

أدلة النهي عن حب الشهرة:

- (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢). فيكون العمل كله خالصا لله سبحانه.
- قال صلى الله عليه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ) (صحيح ابن ماجه).

- قال صلى الله عليه وسلم: (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ) (سنن الترمذي). فحرص الإنسان على المال والشهرة أشد من إفساد الذئبان الجائعان على الغنم.
- قال صلى الله عليه وسلم: عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ) (صحيح مسلم). والخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس أو يشار إليه بالبنان أو يتحدث الناس عنه.
- إن حب الشهرة قد يدفع العبد إلى أعمال صالحة جليلة، لا يبتغي بها إلا ذِكرَ الناس له، وثناءهم عليه، كما جاء في الحديث عن خبر الثلاثة الذين يُسحبون على وجوههم إلى النار: يُقال للمجاهد منهم: (قَاتَلْتَ؛ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ويقال للعالم منهم: تَعَلَّمْتَ العِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ: هو قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ويقال للمنافق منهم: فَعَلْتَ؛ لِيُقَالَ: هو جَوَّادٌ، فَقَدْ قِيلَ) (صحيح مسلم).
- قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عليه؟ قالَ: (تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ) (صحيح مسلم). فإن يُسرُّ العبد العمل ويطّلع عليه غيره ويُثنون عليه ويَحمدونه، ويكون له به أجر عاجل.

آثار حب الشهرة:

إنَّ الإسلام بطبيعته المعتدلة يُريد لأفراده أن يكونوا صالحين مُتوازنين، لا يغترُّون بالدُّنيا أو تتعلَّق بها قلوبهم، فما مدَّ أحدٌ عينَيْه إلى مَتاعها إلاَّ واشرأبَّت نفسُه، وقارب الفتنة، قال تعالى :(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طه: ١٣١).

هناك أقوامٍ غلبَهم حبُّ الشهرة، وظَنُّوا أنَّ التفاضل بكثرة المعلومات، وكثرة المَحْفوظات، وبالثَّناء، وبانتشار ذكرهم؛ وهذا يشلُّ حركةَ المُجتمع الإيجابيَّة؛ ليحوِّلَها إلى شكليَّات ومظاهر يُخادع بها بعضُهم بعضًا، فالشهرة حين تصير غايةً في ذاتها تؤدي إلى تفَشِّي الكذب والنِّفاق، والخديعة والتصنُّع، وغياب القِيَم الحقيقيَّة، ومعرفة الناس الشُّهرة تَعني سقوط النَّماذج الحقيقية؛ ليبرز مكانَها البالونات الكاذبة والسَّراب المضلل، فليس كلُّ مشهور ناجحًا أو ناجيًا عند الله تعالى، وليس كلُّ مغمور فاشلاً أو متأخِّرًا.

مراجع مختارة

- د. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢م.
- *ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، دار عالم الفوائد للتوزيع والنشر.
- *ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار عالم الفوائد للتوزيع والنشر.
- *الشيخ محمد الغزالي، خلق المسلم، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٧م.
- **موقع الدُّرر السَّنِيَّة، https://www.dorar.net/
- موقع الموسوعة الشاملة، http://islamport.com/
- موقع شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/

*يمكن الحصول على نسخة PDF (بي دي أف) لكتب ابن قيم الجوزية، والشيخ محمد الغزالي بالبحث عنها على الإنترنت.

** نص الأحاديث وتخريجها منقول من موقع الدُّرر السَّنِيَّة، ويتضمن الموقع مراجع الأحاديث.

المحتويات